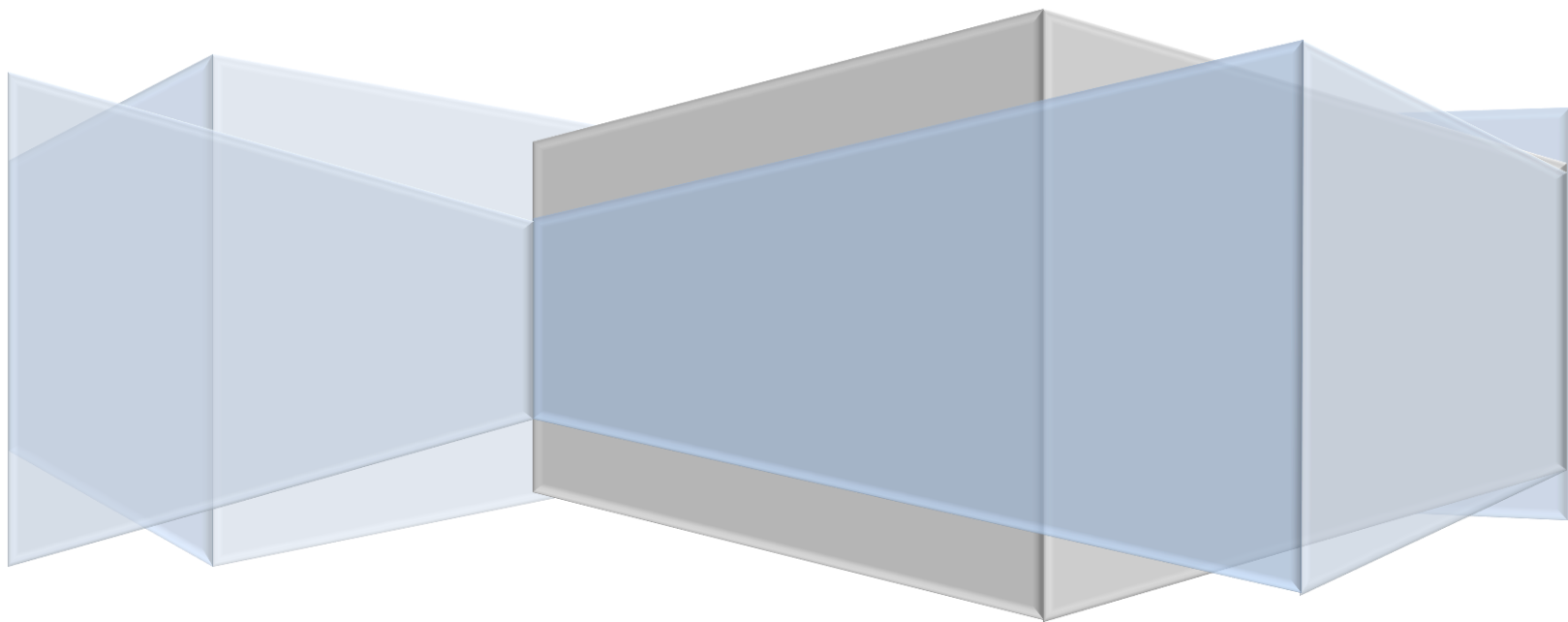


# من أساليب التربية النبوية

الدكتور: عثمان قذري مكاسي



## تمهيد

أكثر الناس المتخصصون في الحديث عن وسائل التعليم والطرق الحديثة الكفيلة بإدخال المعلومات في أذهان المتعلمين وتثبيتها في عقول الدارسين وتقريبها إلى أفهامهم .

تتبع عددًا منها فرأيتهم - جزاهم الله خيراً - بذلوا جهداً كبيراً في هذا المضمار ، إلا أن أكثر أعمالهم كانت نقولاً عن غربيين نصارى أو يهود متخصصين في طرق التدريس الخلفية . ووجدت بعضهم - والفضل أولى أن يذكر - قد شرح وفسر وأضاف لكن في إطار ما درس عن علماء الغرب ، وقد يدلي بدلوه أحياناً ويمضي دون ذلك أحيان كثيرة . وحين يستشهدون بأقوال علماء المسلمين ومربيهم يمرون عليهم مرار الكرام ، وكأن الأصل هناك وما كان عند المسلمين فهو رديف .

وتذكرت قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (( لتتبعن سنن من كان قبلكم ، حذو القذة<sup>(1)</sup> بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه . قالوا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن<sup>(2)</sup> ؟ )) .

لا شك في أن التربية سمة إنسانية يشترك فيها المسلمون وغيرهم ، وهذا ما لا يماري فيه أحد ، ولا بأس أن نأخذ منهم ما يفيد ، والأولى من هذا أن نستفيد من منهجنا - معشر المسلمين - أولاً ، ففيه الخير كل الخير .

وإني لأكبر في كثير من علمائنا ومربينا أنهم خاضوا في مجال التربية الإسلامية ، وخطوا طريقاً طيبة في تربية النشء التربية الصحيحة ، وقد استفدت منهم - جزاهم الله خيراً وأجزل لهم المثوبة - منهم على سبيل المثال :

الدكتور عبد الله علوان - رحمه الله تعالى - في كتابه : ( تربية الأولاد في الإسلام ) .

الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه : ( ثقافة الداعية ) .

والأستاذ خالد الشنتوت في كتابه : ( دور البيت في تربية المسلم ) .

ونحن ما نزال بأمس الحاجة إلى قراءة سلفنا الصالح أسلوباً في التربية وفي استكناه السبل الموصلة إلى قلوب المسلمين الدارسين والمتعلمين والمستمعين ، ابتداءً من أسلوب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتعريجاً إلى

صحابته الكرام وتابعيهم بإحسان . . إلى الأفاضل المربين . . لنصل إلى صنع جيل مسلم متخلق بأخلاق الإسلام العظيمة . . وأرجو الله تعالى أن يكون كتابي هذا لبنة في هذا البناء .

فإن أحسنت فلله الفضل والمنة ، وإن قصرت فحسبي النية إن شاء الله . والله من وراء القصد .

ومن خلال قراءتي المتأنية لبعض كتب الحديث من أمثال :

- الأدب المفرد ، للإمام البخاري رحمه الله تعالى

- رياض الصالحين ، للإمام النووي رحمه الله تعالى

وغيرهما ، أفدت بعض الطرائق البديعة التي سلكها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للوصول إلى قلوب المسلمين

وعقولهم ، ليغرس فيهم الإيمان وعقائده ، والإسلام وشرائعه .

ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - أستاذ الأساتيد ، أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وعلمه فأحسن تعليمه ، وجعله لنا قدوة

وإماماً ، نمشي على هديه ونستن سنته . وكان مما أفدت من طرقة ، ورغبت أن يثبينا الله جميعاً عليها إن اقتفينا أثره ما يلي :

1- طريقة القص .

2- الموعظة بضرب المثل .

3- ذكر الصالحين وأخبارهم .

4- التصوير الحسي .

5- الحوار وانتهاز المناسبة .

6- حسن الخلق والتحب .

(1) القذة : ريش السهم .

(2) فمن ؟ : استفهام أريد به الإيجاب والتقرير ، أي اليهود والنصارى .

- 7- الترغيب .
  - 8- الترهيب .
  - 9- التطبيق الفعلي للأمر .
  - 10- التنافس على تبوؤ المكانة العالية .
  - 11- مخاطبة الناس على قدر عقول ، والحلم .
  - 12- الخطوات المتتابعة .
  - 13- الالتفات إلى الأهم ( أسلوب التحكيم ) .
  - 14- الدعابة .
  - 15- الدعاء .
  - 16- التلميح دون التصريح .
  - 17- التكرار .
  - 18- تحديد العدد .
  - 19- السؤال .
  - 20- القسم .
  - 21- الجمل الموسيقية .
  - 22- أدوات الاستفتاح والتوكيد .
- وأفدت من السيرة النبوية المطهرة ،  
وأفدت في شرح المفردات من : ( القاموس المحيط ، والمختار من صحاح اللغة ، والمعجم الوسيط ، والمنجد ) .

## الموعظة وضرب المثل (1)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعين على توضيح مواظبه بضرب المثل مما يشهده الناس بأمر أعينهم ، ويقع تحت حواسهم ، وفي تناول أيديهم ، ليكون وقع الموعظة في النفس أشد ، وفي الذهن أرسخ . ومن الأمثلة على ذلك ما رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال :

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

{ مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة : ريحها طيب ، وطعمها طيب ،

ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة : طعمها طيب ، ولا ريح لها ،

ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة : ريحها طيب ، وطعمها مر ،

ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة : طعمها مرٌ ولا ريح لها . }

فالناس كما قسمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أنواع ، والسامعون يرهفون السمع ، يريدون أن يتعرفوا هذه الأقسام الأربعة ليوازنوا بينها ، ويحددوا في أي صنف يكونون .

وهذه الموازنة تجعلهم يرغبون بالتعرف على سمات كل طائفة ، ومن ثمَّ ينضمون إلى الطائفة المرجوة

فما أبلغ الترغيب في المثل الذي ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أزر التحذير من الشر !

جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : يا رسول الله ، كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم

يلحق بهم ؟ قال - صلى الله عليه وسلم : { المرء مع من أحب } .

فذهب رد رسول الله مثلاً يقال في كل موقف مشابه ، وازداد المسلمون حباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم

كيما يكونوا معه في الجنة .

وبما أن الإنسان يريد أن يكون مع الصالحين ، وقد يكون قصر عنهم في أعماله - وليس في الإسلام يأس من

بلوغ الدرجات العلا - فعليه أن يحبهم ويواليهم ليكون في زمرتهم يوم يتخلى كل خليل عن خليله إلا خليل الإيمان

والحب في الله .

روى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { لا يدخل الجنة

قتات }

فذهبت هذه الجملة مثلاً يذكر كلما ذكر المنام وفعله ، أو تحدث الناس في أخبار النمامين والواشين والكاذبين ،

وتعوذ الناس من مصيرهم ، واجتنبوا أن يكونوا مثلهم .

وما أجمل قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم للأقرع بن حابس - الذي رأى رسول الله يقبل الحسن والحسين

رضي الله عنهما ، فقال : إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحداً منهم - : { من لا يرحم لا يرحم } .

جملة طبقت الآفاق وتداولها الناس في مجالسهم { من لا يرحم لا يُرحم } إنها دليل الرحمة في الإسلام وطريق الوصول إلى رحمة الله بنا ، وكما تُدينُ تُدان .

## الحوار (2)

قد يمر الرسول صلى الله عليه وسلم في مكان فيرى أمراً يستحق التعليق عليه ، أو يسمع كلمة فيلقى الضوء عليها ، فتكون هذه الكلمات من رسول الله صلى الله عليه وسلم عظة وعبرة تؤثر في نفوس أصحابه ، وقد يحاور أصحابه ليصل معهم إلى فكرة يثبتها في عقولهم ، أو يرشدهم بها ويهذب نفوسهم ، ويدلهم على طريق الخير الموصل إلى رضا الله تعالى .

من ذلك ما رواه عمر الفاروق - رضي الله عنه وأرضاه -

قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبئي ، فإذا امرأة من السبي ( الأسرى ) قد تحلَّب ثديها إذ وجدت صبياً في السبي ، فأخذته فألزقته ببطنها فأرضعته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار وهي تقدر على أن لا تطرحه ؟ قلنا : لا والله . قال : فإله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها .  
وكثيراً ما كان السبي في ذلك الوقت ، وكثيراً ما كانت النساء يفعلن ذلك بأولادهن ، فهذا أمر عادي ألفه الناس ، فهو جزء من حياتهم اليومية ، ففقدوا بهذه العادة التلذذ بمعنى الأمومة والأبوة .. فنبههم رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو المعلم العظيم - إليها فتذكروها ، ثم قادهم إلى أهم من ذلك .

قادهم إلى حب الله إياهم ورحمته بهم ، فإذا الله تعالى بقوته وعظمته وسلطانه - وهو ليس بحاجة إليهم - يحبهم هذا الحب الكبير ، أفلا يستحق - سبحانه - أن يبادلوه حباً بحب ؟ ! هم عبيده يحتاجونه في كل لحظة وحركة ، في كل طرفة عين ونفَسٍ ، نواصيهم بيده ، ماض فيهم حكمه ، أفلا يتوجب عليهم أن يخلصوا في عبادته والإنابة إليه ، والعمل بما يرضيه ؟! ..

إنها لفتة عظيمة من المعلم العظيم صلى الله عليه وسلم .

وهذا أحد أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبو حكيم - فيما يروي البخاري : يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحاوره قائلاً : يا رسول الله من أبرُّ ؟ ( يريد أن يكون من أهل الله الذين يبعثون ثوابه ويخافون عقابه ) . قال - صلى الله عليه وسلم - : أمك . ( كلمة واحدة تعبر عن إرضاء الأم الكريمة ذات الفضل العظيم الذي لا يدانيه فضل ، فالجنة تحت أقدامها ) .

قال : قلت : من أبرُّ ؟ ( أي من أبرَّ بعدها يا رسول الله ؟ ) قال صلى الله عليه وسلم : أمك . ( إذن فضلها كبير يا رسول الله ، لا يدانيه فضل مهما علا وسما ) .

قلت : من أبرُّ ؟ ( من في المرتبة الثالثة بعد الأولى والثانية المخصصتين للأُم حفظها الله ورعاها ؟ ) قال صلى الله عليه وسلم : أمك . ( الله أكبر ، إنها كلمة كررها رسول الله تنبئ عن فضل الأم ، فهي نبع الحنان ونهر الرحمة وسحائب الغفران ، إرضائها خطير وإكرامها واجب كبير ) .

قلت : من أبرُّ ؟ ( أهنأك من أبره بعدها يارسول الله ؟ ، هي في المقام الأول والثاني والثالث ، هي باب الجنة ومفتاح الخيرات . )

قال - صلى الله عليه وسلم - : أباك . ( فهو المربي والأسوة الحسنة لأولاده ، يشقى لأجلهم ويتعب لراحتهم ، رضاه من رضى الرب ، وسخطه من سخط الرب إكرامه واجب وحبه لازم ، أدخلهما الله جميعاً جنته في الفردوس الأعلى ) .

ثم الأقرب فالأقرب إنه الدين العظيم الذي يدعو : إلى الإحسان والبر ، وإلى التوقير والاعتراف بالفضل ، والذي يدعو إلى صلة الأرحام ، وبناء مجتمع المحبة والوئام . ) .

والحوار الذي يقوم على طرح الأسئلة من الرسول صلى الله عليه وسلم على أصحابه ، أو من الصحابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يثير الانتباه ، ويحرك الذكاء ويقدم الفطنة ، فتراهم يرتون من حكمته - صلى الله عليه وسلم - في قالب من الاقتناع والحوار الهادف .

تعال معي لترى مصداق ما قلناه :

عن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - أن أباه أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال :

إني نحلته ( أعطيت ) ابني هذا غلاماً كان لي .

قال - صلى الله عليه وسلم - : أكلّ ولدك نحلته مثل هذا ؟

قال : لا .

قال - صلى الله عليه وسلم - : فأرجعه . وفي رواية : ( اتقوا الله واعدلوا في أولادكم ) . وفي رواية : ( فلا

تشهدني إذن ، فإني لا أشهد على جور أبداً ) ، وفي رواية ثالثة : ( فأشهد على هذا غيري ) .

ثم قال : أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء ؟

قال : نعم . قال : فلا إذن { متفق عليه ، وهو في رياض الصالحين الحديث / 341 / .

حوار هادف وضح فيه النبي صلى الله عليه وسلم أن العدل بين الأبناء مطلوب ، وأن البر بهم يؤدي إلى برهم بوالديهم ، وأنه كما تدين تدان . كما وضّح الحديث أن على الإنسان ألا يشهد بغير الحق والعدل ، وأن عليه تبصير الناس بأمور دينهم ، وأن يكون الداعية عوناً لإخوانه على إرضاء الله عز وجل .

ومن الحوار الذي أثرى فيه الحديث عن فضيلة الصدقة والحث عليها ، ما رواه عبد الله بن مسعود - رضي الله

عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟

قالوا : يا رسول الله ، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه .

فقال صلى الله عليه وسلم : اعلموا أنه ليس منكم أحد إلا مال وارثه أحب إليه من ماله ، مالك ما أنفقت ومال

وارثك ما أخرت .

محاورة وضعت النقاط على الحروف بأسلوب مقنع واضح لا تعقيب عليه .

ومن الأحاديث التي بينت صغار الدنيا وهوانها على الله تعالى : ما رواه جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر بالسوق ... فمر بجدي أسكَّ ( الأسك : مصلوم الأذنين ومقطوعهما ) ميت ، فتناوله بأذنه ثم قال : أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟

قالوا : ما نحب أنه لنا بشيء . ( أو ما نصنع به ؟ )

قال : أتحبونه أنه لكم ؟

قالوا : والله لو كان حياً كان هذا السك عيباً فيه ، فكيف وهو ميت ؟!

قال : فوالله ؛ للدنيا أهون على الله من هذا عليكم .

أسلوب حوار عملي ، يرى رسول الله جدياً ميتاً ، مقطوع الأذنين ، تزكم رائحته الأنوف ، يمسكه من إحدى أذنيه ويعرضه على أصحابه ، أن يشتروه بدرهم ، فيأبوا ذلك ، وماذا يفعلون بجيفة قذرة ؟ ولو كان حياً وهو مقطوع الأذنين ما رغبوا فيه فكيف وهو ميت ؟!

وحين يصلون إلى هذا القرار يعظهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة

ما سقى الكافر منها شربة ماء



### ذكر الصالحين (3)

إن الأذن لتسرع إلى سماع أخبار الصالحين

وإن النفس لترغب أن تعرف أحوالهم وما يخصهم .

فهم القدوة والمثل ، والراغب في الكمال يتأساهم ويتحسس خطاهم ، وهكذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم -

يتعاهد أصحابه كل حين بأخبار الصالحين الأولين .

فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :

قال موسى - عليه السلام - يا رب ، علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به .

قال رب العزة - جلّ وعلا - : قل يا موسى : { لا إله إلا الله } .

قال : يا ربّ ، كل عبادك يقولون هذا ؟ .

قال : يا موسى ، لو أن السموات السبع وعامرهنّ - غيري - والأرضين في كفة ، ولا إله إلا الله { في كفة ،

لمالت بهن { لا إله إلا الله } .

فالسامع يسمع اسم سيدنا موسى - عليه السلام - وهو من الأنبياء أولي القوة ... والنفس المؤمنة تميل إليه

وتحبه { وألقيت عليك محبة مني } ثم يسمع ما سأل ربّه ، فيعلم أن هناك فائدة يفيد منها ، فلتنح ما يقوله الله تعالى له ،

ولنسر على خطاه ، فمن استهدى المهديين اهتدى .

وهكذا يكون الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - بذكر حوار موسى - عليه السلام - مع ربه - قد غرس

فينا حب { لا إله إلا الله } ، وعرفنا مكانتها ، وحثنا على الإيمان بها .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :

بيننا أيوب - عليه السلام - يغتسل عرياناً ، فخرّ عليه جراد من ذهب ، فجعل أيوب يحثي في ثوبه ، فناداه ربه

- عزّ وجلّ - : يا أيوب ، ألم أكن أغنيك عما ترى ؟

قال : بلى ، - وعزتك - ولكن لا غنى لي عن بركتك .

فهذا النبي - أيوب عليه السلام - له في نفوس المسلمين حب وهوى لما عرف عنه من صبره على الابتلاء -

والصبر من سمات الصالحين - والرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن يرينا أن المال الصالح للعبد الصالح بركة ويمن

، وأن النفس البشرية تهوى المال { ويحبون المال حباً جما } ، وأن الله تعالى يختبر حتى الأنبياء ، وأن المال يشغل

حتى كرام الناس .

فهذا أيوب - عليه السلام - ينسى أنه عريان فيشتغل بجمع الذهب ويحرص عليه ، والإنسان لا يعدم سبباً يعلل

به حبه للمال ( ... ولكن لا غنى لي عن بركتك .. )

كما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : بُعِثَ موسى وهو راعي غنم ، وبعث داود وهو راعي غنم ، وبعثت أنا وأنا أرعى غنماً لأهلي بأجباد .

وهل هناك أفضل من موسى وداود والأنبياء ، وعلى رأسهم رسول الله - صلوات الله عليهم جميعاً ؟ ! .  
ماذا كان عملهم ؟ لم كونوا تجاراً ولا ومهندسين أو أطباء أو مقاولين ، ولم يكونوا يسكنون القصور والبيوت الفخمة ، كانوا فقراء يرعون الغنم للناس ، فرعوا الأمم بعد ذلك .

والإنسان - كما يعلمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بهذا الحديث : يشرفُ بعمله لا بنسبه ، وبإيمانه لا بحسبه ، وبروحه لا بماله ، وبعقله لا بطينه ، فعلى الإنسان أن يعمل ولا يحقرن شيئاً من عمله .

فآدم - عليه السلام - كان مزارعاً ، ونوح - عليه السلام - كان نجاراً ، وموسى - عليه السلام - كان راعياً ، وما من نبي إلا رعى الغنم ، وعلى الإنسان أن يأكل من عمل يده ( ما أكل امرؤ طعاماً قطُ خيراً من عمل يده ) ، وعلى الإنسان أن يبحث عن اللقمة الحلال من العمل الحلال ، ففيها الأمن والأمان والصحة والعافية ، ورضى الرحمن .  
إن ذكر الصالحين مدعاة للاقتداء بهم والسير على منوالهم .. اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين يا رب العالمين

## أسلوب القص

إن للقصّة تأثيراً كبيراً في نفس متلقّيها لما فيها من تدرج في سرد الأخبار ، وتشويق في العرض وطرح للأفكار ، ممزوجة بعاطفة إنسانية . وهي تعتمد على الحوار والنقاش الداخلي أحياناً والخارجي أحياناً أخرى ، وتصدر مقترنة بالزمان والمكان اللذين يغلفان الأحداث بإطار يمنح الذهن من التشتت وراء الأحداث ، وتترج من موقف إلى آخر ، تجذب السامع إلى التفاعل والمتابعة بأحاسيسه وأفكاره ومشاعره ، ويندمج فيما يسمع ، فتصل به إلى نقطة التآزم ، ثم تنحل شيئاً فشيئاً . وتكون نقطة التنوير في الأحداث الضوء الذي ينقذ الموقف القصصي وينقله إلى حالة الهدوء والانتظام . . أو اتخاذ الموقف الإنساني . . نتيجة للتفاعل الفكري والنفسي مع الأحداث .

والرسول - صلى الله عليه وسلم - استخدم الأسلوب القصصي لأنه رآه من أبلغ الطرق المؤدية إلى توثيق الفكرة وإصابة الهدف .

بعض القصص التي جاءت في أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت تامة العناصر من مقدمة وشخصيات ، وأحداث زمانية ومكانية ، وعقدة تصل بالقارئ والسامع إلى نقطة التآزم ، ثم حل في آخر المقام .

وسنرى - إن شاء الله - مما نستشهد قصصاً محبوكة التركيب ، متماسكة الأحداث ، تدحض ما يدعيه أصحاب التغريب من أن القصة لم تبلغ شأوها إلا في هذا العصر ، حين اتصل أدباؤنا القاصون بالغرب فتعلموا منه !!! .

وبعض القصص تتجاوز بعض عناصر القصة وتركز على بعضها الآخر ، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن يريد من القصة القصة نفسها ، إنما أراد الهدف منها . . فإذا وصل إلى ما يبتغيه من الهدف التعليمي اختصر في بعض عناصرها . . . ومن أوضح الأمثلة على القصص التامة العناصر : ما رواه صهيب الرومي - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

### قصة الغلام والساحر :

( كان ملكٌ فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك : إنني قد كبرت فابعث لي غلاماً أعلمه السحر ، فبعث إليه غلاماً يعلمه . . وكان في طريقه - إذا سلك - راهبٌ ، ففقد إليه وسمع كلامه ، فأعجبه ، وكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال ( الراهب ) : إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي ، وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر .

فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس ( منعتهم من تجاوز الطريق ) فقال : اليوم أعلم : الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس .

فرماها فقتلها ومضى الناس . وأتى الراهب فأخبره ، فقال له الراهب : أي بني ، أنت اليوم أفضل مني ، قد بلغ من أمرك ما أرى ، وإنك ستبتلى ، فإن ابتليت فلا تدل علي . وكان الغلام يبئ الأكمة<sup>(1)</sup> والأبرص - بإذن الله - ويداوي الناس من سائر الأدواء ، فسمع به جليسٌ للملك - كان قد عمي - فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال ( جليس الملك ) : ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني .

فقال ( الغلام ) : إنني لا أشفي أحداً ، إنما يشفي الله تعالى ، فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك . فأمن بالله تعالى<sup>(2)</sup> ، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس .

فقال له الملك : من رد عليك بصرك !!!؟ .

قال : ربي .

قال : ولك رب غيري !!!؟ .

قال : ربي وربك الله .

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فجيء بالغلام فقال له الملك : أي بني : قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمة والأبرص ، وتفعل وتفعل ؟

(1) الأكمة : الذي ولد أعمى .

(2) هنا لب القصيد ، فالإيمان بالله تعالى يصنع المعجزات والتوكل عليه يوصل إلى بر الأمان .

فقال : إني لا أشفي أحداً ، إنما يشفي الله تعالى ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب . فجيء بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى ، فدعا بالمنشار ، فوضع المنشار في مفرق رأسه ، فشقه حتى وقع شقاه . ثم جيء بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى ، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه . ثم جيء بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك فأبى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا ، فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته ( فرأوه عن دينه ) فإن رجع عن دينه ( فعودوا به ) وإلا فاطرحوه . فذهبوا به فصعدوا به الجبل . فقال : (( اللهم اكفنيهم بما شئت )) ، فرجف بهم الجبل فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك ( متحدياً ) ، فقال له الملك : ما فعل بأصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله تعالى . فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحملوه في قرقور<sup>(3)</sup> وتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه ( فعودوا به ) وإلا فاقذفوه . فذهبوا به ، فقال : (( اللهم اكفنيهم بما شئت )) ، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ، وجاء يمشي إلى الملك ( متحدياً ) ، فقال له الملك : ما فعل بأصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله تعالى . فقال ( الغلام ) للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به ( أظليه منك ) ، قال ( الملك ) : ما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد<sup>(4)</sup> ، وتصلبني على جذع ، ثم خذ سهماً من كنانتي<sup>(5)</sup> ، ثم ضع السهم في كبد القوس ، ثم قل : باسم الله رب الغلام ، ثم ارمني ، فإنك إن فعلت ذلك قتلتني . فجمع الملك الناس في صعيد واحد ، وصلبه على جذع ، ثم أخذ سهماً من كنانته ، ثم وضع السهم في كبد القوس ، ثم قال : باسم الله رب الغلام ، ثم رماه فوق السهم في صدغه<sup>(6)</sup> ، فوضع ( الغلام ) يده في صدغه فمات . فقال الناس : أما برب الغلام . فأتى الملك ، فقيل له : رأيت ما كنت تحذر ؟ قد والله نزل بك حذر ، قد آمن الناس . فأمر بالأخدود<sup>(7)</sup> بأفواه السكك فحُذت<sup>(8)</sup> وأضرم فيها النيران . وقال من لم يرجع عن دينه فأقحموه<sup>(9)</sup> فيها . أو قيل له : اقتحم<sup>(10)</sup> ، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها ( رضيعٌ لا يتكلم ) ، فنقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام ( أنطقه الله تعالى )<sup>(11)</sup> : يا أمه اصبري ، فإنك على الحق<sup>(12)</sup> . وهكذا فالقصة إن حبكت بأسلوب سهل مسلسل الأفكار - وهذا أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم - أسرت القلوب وحبست الأنفاس وفتحت العقول ، وامتزجت بأرواح القارئ والمدعوين ، فوجدت فيها مكاناً تربعت عليه وآنت أكلها . فالقصة الهادفة تفتح أذاناً صمّاً ، وقلوباً ران عليها الجهل ، وعقولاً تلبدت ، إن كان صاحبها صادقاً في دعوته ، قادراً على التعبير عنها ، وكان المدعو فيمن رحمه الله تعالى . ومن القصة الهادفة المكتملة العناصر :

### قصة جريج :

روى هذه القصة أبو هريرة - رضي الله عنه - إذ سمعها من النبي - صلى الله عليه وسلم - حين قال : (( ما تكلم مولود من الناس في مهدي إلا عيسى بن مريم - صلى الله عليه وسلم - وصاحب جريج )) فلما أنصت المسلمون إلى مقالة

(3) القرقور : نوع من السفن .

(4) الصعيد : الأرض البارزة .

(5) الكنانة : بيت السهم .

(6) الصدغ : ما بين العين والأذن .

(7) الأخدود : الشقوق في الأرض كالنهر الصغير .

(8) حذت : شقت .

(9) فأقحموه فيها : ألقوه فيها .

(10) قيل له اقتحم : أمره أن يلقي بنفسه فيها ، فهم لا يستطيعون الدنو من النار خوف الحرق .

(11) كل ما بين قوسين في الحديث إضافة من المؤلف .

(12) رواه مسلم ، من رياض الصالحين .

النبي - صلى الله عليه وسلم - وأرهفوا السمع ، وحبسوا الأنفاس ينتظرون رسول الله أن يبدأ قصته هذه ، قال : فإن جريجاً كان رجلاً راهباً في صومعة له يعبد الله ، ويتبتل إليه ، انقطع عن الدنيا وأخلص وقته ونفسه لله تعالى ، وكانت صومعته على صخرة عالية في الجبل ، وتحتها كهفٌ يأوي إليه أحد رعاة البقر فيقبل أو يمسي . ولم يكن الراعي تقياً إنما كان يزني بمومس تأتيه في هذا الكهف ، ولم يكن جريج الراهب يدري بما يفعل أسفل صومعته ، فقليلاً ما كان يخرج منها .

جاءت أم جريج مرةً وهو يصلي فدعته ، وكان عليه أن يجيب دعاءها ، قال في نفسه : أيهما أفضل يا ترى ؟ الاستمرار في الصلاة والوقوف بين يدي الله تعالى ، أم قطع الصلاة وإجابة دعاء الأم؟! . لم يكن يدري ما يفعل ، إلا أنه أثر الصلاة رغبة في إتمام الثواب ، وسوف يفرغ لأمه ويبرها . . نعم لن يضيع الصلاة ، وإرضاء الوالدة بعد ذلك أمر يسير وهو بذلك ينال أجرين . . هكذا فكر جريج . وعادت الأم تنادي : يا جريج رد علي يا بني . . أنا أمك أناديك فهل إلي . . إجابتي خير لك في الدنيا والآخرة . لم يكن جريج يعلم أن ترك صلاة السنة والمبادرة إلى إجابة الوالدة من أفضل القربات عند الله ، فعزم أن يستمر في الصلاة . . ولا شك أن الله تعالى يعرف أنه يحب والدته ويود برها لكنه في الصلاة ، والصلاة ووقوف بين يدي الله تعالى ، وهل هناك أفضل من هذه العبادة؟! .

إنه ليس عاقلاً وسيجيب والدته حين يفرغ من صلاته . . هكذا اجتهد للمرة الثانية ، وحين نادته للمرة الثالثة وأثر الاستمرار في الصلاة وأبطأ عليها فلم يجبها ، قالت حزينه دامعة العينين متأثرة بصدده - المؤقت لها - وفي سورة غضبها : لا أماتك الله يا جريج حتى تنظر في وجه المومسات . وجه المومس ليس فيه طهر ولا نقاء ! ، دنس الزنا يذهب رواءه وبطفي نوره ويترك عليه مسحة من سواد تنفر منه النفوس الصافية والقلوب المؤمنة ، وتستعيز منه الأرواح الشفافة والأفئدة الطاهرة !! . وأين يرى المومسات وهو لا يدري بما يجري حوله ؟ إنه لا يخرج من صومعته إلا لماماً ، ولا يزوره إلا أشرف الناس ممن يلتمسون بركته ويسألونه الدعاء لهم .

لم تكن الأم ترغب أن يصيب ولدها مكروه ، ولكن سبق السيف العذل ، وسبق لسائنها إلى الدعاء ، وكان دعاءها قد وجد أدناً من الله سميعاً . انصرفت الأم بعد أن دعت . . ونسيت ، ولكن الله لا ينسى ، ولم يكن لينسى ، فلا بد أن يعاقب العاق جزاءً وفاقاً ولكن كيف؟! .

إن المومس حين زنا بها الراعي ولدت صبياً أبوه مجهول ، فمن هو يا ترى؟! لم تذكر المرأة اسم الراعي لأنها تحبه ولا ترضى له العقاب ، إنها تريد إبعاد التهمة عنه ، فمن البديل يا ترى؟ فكرت في الأمر ، وأمام ضغط الملك والتلويح بالعقوبة رمت جريجاً قائلة إنه الزاني . .

وأبلس القوم . . جريج يفعل هذا ؟ أمن المعقول أن يكون ظاهره غير باطنه؟! وهل يمكن لهذا الرجل الصالح أن يقع في الزنا؟! وتهامس القوم غير مصدقين ، وقال الملك مستغرباً أصحاب الصومعة؟ قالت : نعم ، ألم يرني أحدكم تلك الأيام أختلف إلى الصومعة؟ . لا شك أن أحدهم رآها تقصد الصومعة في أوقات مختلفة . . لا بل تقصد تحت الصومعة .

وثار الناس وتصايحوا . . وغضب الملك وازداد غضبه ، لماذا ؟ لأنه فوجئ بمن يزني وهو متزي بزني أعلام الصالحين . فأمر أتباعه بهدم الصومعة وجر جريج مهيناً إلى مجلس الملك ، ففعلوا ، ربطوا يديه بحبل إلى عنقه كما يفعل بالمجرمين . ومر في طريقه على المومسات فرآهن بيتسمن وهن ينظرن إليه في الناس . . وصدقت دعوة أمه فيه . . فقد رأى المومسات يشمتن به ويهزأن منه وكأنهن يقلن في أنفسهن : تدعي الصلاح وترتكب الموبقات ! فنحن إذن أكثر طهراً منك سرُّنا كعلانيتنا . قال في نفسه : حسبي الله ونعم الوكيل ، اللهم أنقذني مما أنا فيه يا الله ، وأعني على بر أُمِّي .

قال الملك : أعرفت ما تزعم هذه المرأة ؟

قال : وماذا تزعم ؟

قال الملك : تزعم أن ولدها منك .

قال جريج : أنت تزعمين ذلك ؟

قالت : نعم . يا ويلها إنها تصر على الكذب ، وتود في سبيل إنقاذ الراعي أن ترمي به في المهالك .

قال جريج : أين هذا الصغير ؟

قالوا : هو ذا في حجرها .

لكن الله تعالى بعد أن أخذ بحق أمه لم ينس له عبادته إياه ، والله يعلم حب جريج أمه .. وأنه اجتهد فأخطأ ، ولعل في هذا درساً له وعبرة أيما عبرة ، فأراد إنقاذه ورفع منزلته ، فليس الظلم من صفاته - جلّ وعلا - .  
أقبل جريج حتى وقف على الطفل وسأله على مسمع من الملك وأركان ملكه واثقاً من نصر الله له ورحمته به : من أبوك ؟

وهنا كانت المفاجأة التي وجفت لها القلوب وتسمّرت لها الأقدام ، لقد أنطق الله تعالى الطفل ابن الأيام فقال :  
إنه الراعي . . . راعي البقر . . الذي استغل ذلك المكان الطاهر في آثامه ونزواته وخلا بأمه ، فكان هذا الطفل ثمرة الزنا .

وانقلب الأسير حراً . . والمهين عزيزاً .

أسف الملك لسوء ظنه بالراهب الطاهر ، وندم على إهانته إياه ورغب - معبراً عن ندمه هذا - أن يعيد بناء الصومعة من ذهب !! . . . إن بريق الذهب يذهب بريق القلوب . .

قال : لا ، لا أريدها من ذهب .

قال الملك : من فضة إذن . .

قال : لا ، إن لمعان الفضة يحجب لمعان الحقيقة عن القلوب .

قال الملك : مم نجعلها إذن ؟

قال جريج : ردها كما كانت ، فهذا أدعى إلى السكينة والصفاء .

إن بهرجة الدنيا تشغل القلوب وتنقل الأرواح وتقيّد النفوس . ثم تبسم جريج . . وعجب الحاضرون إذ تبسم ، لا بد أن هناك أمراً يستدعي الابتسام . نعم لقد أدرك الراهب جريج أن الذي أدى إلى هذا الموقف العصيب الذي كاد يعصف به لولا أن تداركته رحمة الله ، إنما هو دعوة الأم أن يرى وجوه المومسات ، ولم يكن له بد من أن يراها ، فدعوة الأم أحق أن تجاب<sup>(13)</sup> .

### قصة الأبرص والأقرع والأعمى :

ومن القصص النبوية التي ركزت على الحوار أكثر من بقية العناصر الأخرى للقصة ، ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : (( إن ثلاثة من بني إسرائيل ( أبرص ) وأقرع وأعمى ) أراد الله أن يبتليهم ( يختبرهم ) فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص :

الملك : أي شيء أحب إليك ؟

الأبرص : لون حسن ، وجلد حسن ، ويذهب عني الذي قد قذرنى الناس ( عليه ) .

فمسحه ، فذهب عنه قذره ، وأعطي لوناً حسناً .

الملك : فأبي المال أحب إليك ؟

الأبرص : الإبل ، فأعطي ناقه عُسراء ( حاملاً ) .

الملك : بارك الله لك فيها .

ثم أتى الأقرع وقال له :

الملك : أي شيء أحب إليك ؟

الأقرع : شعر حسن ، ويذهب عني الذي قذرنى الناس ، فمسحه فذهب عنه ، وأعطي شعراً حسناً .

الملك فأبي المال أحب إليك ؟

الأقرع : البقر ،

فأعطي بقرة حاملاً .

الملك : بارك الله لك فيها .

(13) رواه البخاري ومسلم . الأدب المفرد للبخاري - رحمه الله تعالى - ص20 الحديث 33 مع بعض التصرف والتعليق والتوضيح .

ثم أتى الأعمى وقال له :

الملك : أي شيء أحب إليك ؟

الأعمى : أن يرد الله بصري فأبصر الناس . فرد إليه بصره .

الملك : فأبي المال أحب إليك ؟

الأعمى : الغنم ،

فأعطي شاةً واداً ( حاملاً )

فأتج هذان ، وولد هذا . فكان لهذا وادٍ من الإبل ، ولهذا وادٍ من البقر ، ولهذا وادٍ من الغنم .

ثم إن الملك أتى الأبرص في صورته وهينته ( الأولى ) :

الملك : رجلٌ مسكينٌ قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم ( أي لا معونة من مال ) إلا بالله ثم بك ،

أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال ، بغيراً أتبلغ به في سفري .

الأبرص : الحقوق كثيرة !! ( أي ما عندي ما أعطيكه ) .

الملك : كأني أعرفك !! ألم تكن أبرص يقدرك الناس ، فقيراً فأعطاك الله ؟

الأبرص : إنما ورثت هذا المال كائناً عن كابر ( أباً عن جد ) ( فهو ينكر ما كان عليه ) .

الملك : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ماكنت . . وهكذا عاد الأبرص أبرص يقدره الناس ، فقيراً .

وأتى الأقرع في صورته وهينته ( الأولى ) :

الملك : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك . أسألك بالذي أعطاك

الشعر الحسن ، والمنظر الحسن والمال ، بقرة أتبلغ فيها في سفري .

الأقرع : الحقوق كثيرة !! ( قالها يصرفه دون أن يعطيه )

الملك : كأني أعرفك . . ألم تكن أقرع يقدرك الناس ، فقيراً فأعطاك الله ؟

الأقرع : إنما ورثت هذا المال كائناً عن كابر !!

الملك : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت . .

وهكذا عاد الأقرع أقرع يقدره الناس ، فقيراً .

وأتى الأعمى في صورته وهينته ( الأولى ) :

الملك : رجل مسكين انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلى بالله ثم بك . أسألك بالذي رد عليك

بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري .

الأعمى : قد كنت أعمى ، فرد الله لي بصري ، فخذ ما شئت ، ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك ( لا أعارضك )

بشيءٍ أخذته الله عز وجل .

الملك : أمسك مالك ( لا أريده ) ، فإنما ابتليتكم ( اختبرتم ) ، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبك . (14)

ولقد كانت القصة في أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفيرة لأنها من أقرب الطرق السهلة القريبة إلى

الإنسان وإلى قلبه وإلى فكره .

ولقد يسر الله تعالى لي من الوقت ما جمعت فيه الكثير من قصص النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب سمّيته (

قصص رواها النبي صلى الله عليه وسلم ) فالقصص نبعٌ ثر لقصص هادفة أسطرها لإخواننا وأبنائنا تنير لنا الطريق

وتدلنا على الخير .

والله الموفق والهادي . .

(14) من كتاب (( تربية الأولاد في الإسلام )) للدكتور عبد الله علوان - رحمه الله تعالى - ج/2 ص269 ط/8/1985 .

## التصوير الحسي (5)

الإنسان روح وفكر وقلب .  
والإنسان - كذلك - عين وسمع وذوق ولمس وشم . .  
فهو معنوي ومادي بآن واحد ، وإذا عجز أحياناً عن الوصول إلى الفكرة الشفافة ذهنياً وصل إليها مادة وحساً . .  
فهو أولاً وآخرأ مخلوقٌ من صلصالٍ من حمأ مسنون ، من طين لازب .  
وقد تعامل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو أستاذ المرابين - مع أصحابه على هذا الأساس ، فقرب إليهم الفكرة والإيمانَ بها بعد العقل والتدبير ، رؤية ولمساً ، فحرك المشاعر واستجاش الخواطر ، ووطد أركان الإيمان ودعائم الإسلام في نفوسهم . . فكانوا - كنيهم - قرأناً يمشون على الأرض .  
عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :  
( (يؤتى بأشدهم أهل الدنيا يوم القيامة من أهل النار ، فيصبغ في النار صبغةً ، ثم يقال : يا ابن آدم : هل رأيت خيراً قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يا رب .  
ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة ، فيصبغ صبغة في الجنة ، فيقال له : هل رأيت بؤساً قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ، ما مر بي بؤس ولا رأيت شدة قط )) (1)  
إنها صورة ترتجف لها القلوب وتزهق لها الأرواح . . تقرب إلى الفهم صورة الكافر في النار - نعوذ بالله منها - فتتخلع الأفئدة ، وتطيش العقول .

ما هذه الصبغة التي تنسي نعيم الدنيا وقتونها ؟!  
ما هذه الغطة الرهيبية التي تغطي على بهارج الحياة الدنيا وغرورها ؟!  
لمثل هذا فليحذر الحاذرون ، وليزعو الغافلون .  
بل ما هذه الصبغة التي تنسي بنعيمها من شقي في الدنيا سنوات وسنوات ؟!  
ما هذه الحياة الرضية التي تنسي مآسي الدنيا الدنية ، فيقسم الإنسان - وهو صادق - أنه لم يعرف البؤس قط ؟!  
ما أجمل الجنة إذ يرى فيها المؤمن ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ! ...  
لهذا فليعمل العملون وليتسابق المتسابقون ، نسأل الله أن نكون منهم .  
وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :  
( (صنفان من أمتي لم أرهما (2) :  
قوم معهم سياط من نار كأذناب البقر ، يضربون بها الناس .  
ونساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا )) (3)  
إنهما فئتان ممن يدعون الإسلام وليسوا بمسلمين :

من يا رسول الله ؟  
إنهم الظلمة الذين يعذبون الناس ويخيفونهم ، ويلهبون وجوههم وأجسادهم بسياط تلسع كالنار ، وزبانيئهم الذين قرنوا أنفسهم بهم ، يصدرون عن أوامرهم وينفذون تعليماتهم ، لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ، يسلبونهم ، يهينونهم ، يقهرونهم . . ليسوا منا ولسنا منهم . . لا يدخلون الجنة ، بل لا يدنون منها ، بل هم بعيدون لا يشمون رائحتها ، وإن رائحتها لتصل إلى الناس عن بعد بعيد ، ومسافة كبيرة . .  
وإنهن النساء اللواتي خلعن برقع الحياء ، وأمطن حجاب الطهر والعفاف ، يلبسن وهن في الحقيقة لا يسترن أجسادهن .

يرتدين الثياب الرقيقة ، فلا تحجب عن العيون النهمة والذئاب الجائعة شيئاً .

(1) أخرجه مسلم

(2) لم يرهما في حياته فقد كانت الجاهلية إذ ذاك أكرم من جاهليتنا هذه فلا سجون ولا تعذيب بالكهرباء وقلع الأظافر وإذابة الأجساد بالأسيد و . . . وكانت النساء مستورات محتشمتات لا تظهر مفاتهن .

(3) رواه مسلم .



ويرتدين الثياب القصيرة ، فلا ترد عن السوق والأفخاد وقاحة الغربان الجائعة .  
ويرتدين الثياب الفاضحة ، عارضات الشعر والأعناق والصدور والنهود لكل من يرغب ، فلا يتمتعن عن لمس  
الفاسقين وإجابة الفاجرين ، يتزئ للزنا ويتهبأ للخنأ .

هؤلاء وهؤلاء لم يرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين عرضت عليه النار فرأى أهوالها ، إنما يأتون في  
أخرة من الحياة . . . وها نحن الآن نراهم بيننا ، وما أكثرهم ! ظلم وإرهاب وقهر وإيذاء للمسلمين وللذين بدينهم  
يتمسكون ، هؤلاء هم الصنف الأول .

وفسق ودعارة ، ودعوة إلى الفساد وترويح للفجور على صفحات المجلات والجرائد ، وفي وسائل الإعلام ،  
المسموعة ، والمرئية ، في الشوارع والطرقات . . . بلاء . . . بلاء . . . هؤلاء هن من الصنف الثاني .  
فليحذر الحاذرون وليعد إلى دينهم المسلمون .

إنه تصوير واضح لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :

(( عرضت علي الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهيط<sup>(4)</sup> ،

والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي ليس معه أحد ، إذ رُفِع لي سوادٌ عظيم ، فظننت أنهم أمتي ، فقيل لي : هذا  
موسى وقومه . ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت ، فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : هذه أمتك ، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون  
الجنة بغير حساب ولا عذاب )) .

ثم نهض فدخل منزله - صلى الله عليه وسلم - فحاض الناس في أولئك<sup>(5)</sup> ،

فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ، فلم يشركوا بالله ،

وذكروا أشياء . . .

فخرج عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : (( ما الذي تخوضون فيه ؟ )) .

فأخبروه فقال : هم الذين لا يرُقون ولا يسترقون<sup>(6)</sup> ، ولا يتطيرون<sup>(7)</sup> وعلى ربهم يتوكلون .

فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم .

فقال : (( أنت منهم )) .

ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم .

قال : (( سبقك بها عكاشة<sup>(8)</sup> )) .

الحديث كله صورة شعرية امتدت زمناً استغرق جلوس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه ، يعرض  
عليهم صورة حية ، تشترك فيها الحواس البصرية والسمعية ، وتتحرك آلة التصوير فيها نحو الأنبياء - عليهم الصلاة  
والسلام - فهذا وحده ، وهذا معه رجل ورجلان ، وهذا معه عدة رجال ، وهذا عدد المؤمنين به وافر . . .

وفجأة يظهر جمع عظيم يظنه الرسول - صلى الله عليه وسلم - جمع المسلمين ، فيقول له مرافقه من الملائكة : هذا  
موسى والمؤمنون به ، وهم كثر ، وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعتقد أن المسلمين أكثر ، وهذا صحيح فقد  
ظهر جمع المسلمين يسد الأفق ، ويتقدم نحو منصة سيد الأنبياء ، فيشعر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالسعادة  
تغمره ، فأتباعه كثيرون ، وكثرتهم زيادة في فضله ، فهو هاديهم ويسببه أسلموا وعرفوا ربهم .

والمسلمون ينظرون بعيون بصائرهم إلى اللوحة التصويرية التي عرضها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
فيتفعلون ويتحمسون ، ويرجون أن يكونوا من الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب .

(4) الرهيط : تصغير الرهط وهي الجماعة دون العشرة .

(5) خاض الناس في أولئك - تكلموا وتناظروا بما يميز السبعين ألفاً .

(6) لا يطلبون الرقية .

(7) لا يتطيرون : من الطيرة وهي التشاؤم .

(8) متفق عليه ، ورواه الترمذي .

ويدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيته ، ويظل بعض المسلمين في المسجد يتحاورون ويعللون ، يريدون أن يعرفوا فضل هؤلاء والسبب الذي جعلهم يفوزون بالجنة بغير حساب ، ليسيروا على نهجهم ، ويتخلقوا بأخلاقهم ، يفوزوا بالجنة مثلهم .

إن هذا التصوير البديع الذي عرضه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليهم أوصل العظة التي أَرادها الرسول الكريم أن تترج بالنسائم التي يستنشقونها ، وتختلط بدمائهم ، وأنفاسهم ، ونجح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ذلك . فهذا عكاشة بن محصن يسأل رسول الله أن يكون واحداً منهم ، فكافأه رسول الله على نباهته ومبادرته وبشره أنه واحد منهم ، ويسأله آخر أن يكون منهم . . فينبهه المعلم العظيم أنه ضيع على نفسه الفرصة حين تأخر عن عكاشة ، وأنه كان عليه أن يسبقه ، فالنجاح حليف المتنبهين اليقظين الذين يغتنمون الفرص فلا يُفوتونها ، وهكذا نجح رسول الله مرة أخرى في إثارة الحوافز والدفع إلى التنافس ، صلى الله عليه وسلم .

وعن جابر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

(( مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر<sup>(9)</sup> على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ))<sup>(10)</sup> .

صورة أخرى متحركة ، تمثل مكاناً جميلاً فيه نهر كثير الماء ، بنى أحدهم بيته إلى شاطئه ، يغتسل فيه صباحاً وظهرًا وعصرًا ومغربًا وعشاءً خمس مرات كل يوم . . أين منه القذارة ؟ إنها لا تعرفه ولا يعرفها ، بدنه نظيف ، ورائحته طيبة ، بعيداً عن الأدران والأمراض ، تتجد خلايا جسمه باستمرار . .

هذه هي الصلوات الخمس يقابل الإنسان ربه فيها ، فيناجيه ، ويناديه ويسأله العفو والمغفرة ، العفو عن زلاته ، وغفران خطاياها ، مُحب يلقى حبيبه فيأحدثه باللغة التي يحبها ، يقف أمامه معظماً ، ويسجد له مقرأً بالربوبية ، لا يشغل نفسه إلا به ، فإذا انتهى من صلاته سبحه وحمده وكبره ، وختم ذلك بتوحيد الله وإفراده بالألوهية .

خمس مرات في اليوم ! . . تقف في باب ملك الملوك ، وفاطر السموات والأرض تضرع إليه ، وتعاهده على العبودية لجلاله ! ! . أنت إذن دون ذنوب ، قريب إلى مولاك ، يقول لك : لقد رضيت عنك يا عبدي لقد رضيت . .

وكثيراً ما نجد الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - يقرن التصوير الحسي بالحركة المعبرة أو الرسم والإيضاح :

فمثال الأول ( الحركة المعبرة ) : ما رواه أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - :

(( المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص ، يشد بعضه بعضاً " وشبك رسول الله - صلى الله عليه وسلم بين أصابعه "

((<sup>(11)</sup>

فأنت ترى جداراً من المؤمنين قوياً مرصوصاً لا فرجة فيه ، كل مؤمن يسد ثغرة أخيه ، ويمنعه أن يقع أو يميل ، يعينه على أمر دينه ، ويرفع معنوياته ، يساعده مادياً ومعنوياً ، يدلّه على الخير ويوضح له طريقه ، ويبعده عن الشر ويحذره الوقوع فيه ، يدافع عنه ويحمي ظهره أن يقع فيه بنميمة أو غيبة أو أذى .

ولم يكتف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بهذا التشبيه الواضح الجلي ؛ إنما شبك بين أصابع يديه العشر ، فبدت لحمة واحدة ، وكتلة متماسكة لا ينفذ منها الماء ولا الهواء ، فهي - وإن كانت عشر أصابع - قطعة واحدة على عدوات الدهر . وهكذا المسلمون بعضهم لبعض .

ومن مثاله أيضاً : ما رواه سفيان بن عبد الله الجلي - رضي الله عنه - قال :

قلت : يا رسول الله ، حدثني بأمر أعتصم به .

قال : قل : ربي الله ، ثم استقم .

قلت : يا رسول الله ، فما أخوف ما تخاف علي ؟

فأخذ - عليه الصلاة والسلام - بلسان نفسه ثم قال : ( هذا )<sup>(12)</sup> .

(9) الغمر : الكثير الماء .

(10) رواه مسلم ، ومن رياض الصالحين الحديث / 427 .

(11) رواه الشيخان .

(12) رواه الترمذي في سنته .

فالصحابي سفيان - رضي الله عنه - يحتاط لآخرته فيسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يدلّه على أمر يتمسك به ، ويعيش عليه ليلقى ربه ناجياً من عذابه ، فيأمره الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - بشيئين : الأول : أن يؤمن بالله رباً لا شريك له ، يعيده ويخلص في عبادته .

الثاني : أن يستقيم في حياته ، فيقرن الإيمان بالعمل . . .  
 فالله تعالى لا يقبل إيماناً بلا عمل ولا عملاً بلا إيمان ، لأن الإيمان الخالص بالله يترجمه إلى واقع الالتزام بتعاليمه ، فيأتمر بأوامره ، وينتهي عن نواهيه ، وإلا ما كان إيماناً . . . يجب أن يكون الظاهر كالباطن ، والعلانية كالسر ، وإلا كان النفاق والكذب والمراعاة ، وهذه صفات ينأى عنها المسلم ويأبأها .  
 فلما سأله الصحابي عن أشد ما على الإنسان أن يخافه ليكون على حذر منه ، فاجأه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بجواب عمليّ لن ينساه . . . ما هو؟! . . .

إليك هذا التصوير العملي : فتح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمه الطاهر ، وأخرج لسانه الشريف ، وأمسك به ، ورآه سفيان يفعل ذلك فانتظر التوضيح ، ولكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم ينبس إلا بكلمة واحدة . . . (( هذا . . . ))

سبحان الله! . وماذا يفعل اللسان بصاحبه ؟ .

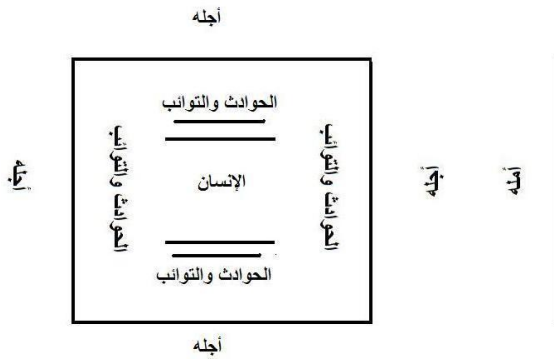
إنه يرفعه مكاناً علياً ، أو يخفضه في حفرة من حفر النار .  
 وفي رواية أخرى لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه - حين أشار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى لسانه وقال : كف عليك هذا ، قال : أو نحن مؤاخذون بما نتكلم به ؟ كان جواب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكثرَ عجباً ، كان على صيغة السؤال الإنكاري الذي يوضح الفكرة ويؤكد المعنى : (( وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟! لقد قرن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العظة بالكلام ، بالعظة بالحركة والإشارة ، فكانت عظته بالغة وتحذيره واضحاً .

وحبذا استخدام الداعية بعضاً من حواسه لخدمة الدعوة وتثبيتها في نفوس الناس .

ومثال الثاني ( الرسم والإيضاح ) : ما رواه عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال :

خط رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطأ مربعاً ، وخط خطأ خارجاً منه ، وخط خطوطاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط ، فقال : هذا الإنسان ، وهذا أجله محيط به ، وهذا الذي خارج ( أي عن الخط ) أمله ، وهذه الخطوط الصغار والأعراض هي الحوادث والنوائب المفاجئة ، فإن أخطأ هذا نهشه هذا وإن أخطأ كلها أصابه الهرم<sup>(13)</sup> .

وهذا هو المخطط الذي خطه - عليه الصلاة والسلام - :

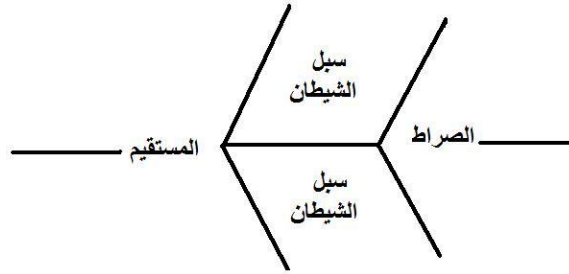


فبين لهم - عليه الصلاة والسلام - بالخطوط التي رسمها بعض المفاهيم الهامة ، وقرب إليهم بعض التصورات المفيدة .

(13) رواه البخاري في صحيحه ( عن تربية الأولاد في الإسلام ج/2 ، ص/682 ) .

وفي الحديث الذي رأيناه بيّن رسمُ النبي - صلى الله عليه وسلم - على الأرض كيف يحال بين الإنسان والآمال الواسعة بالموت المباغت ، أو الحوادث النازلة ، أو الهرم المضني المقعد . وهو توضيح جميل من المعلم الأول - عليه الصلاة والسلام -<sup>(14)</sup> .  
ومن المثال الثاني كذلك ( الرسم والإيضاح ) ما رواه جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال :  
كنا جلوساً عند النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فخط بيده في الأرض خطأً - هكذا - فقال : هذا سبيل الله ، وهذه سبيل الشيطان ، ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية : (( وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ))<sup>(15)</sup> .

وأنموذج الخطوط كما يلي :



فبين لهم - عليه الصلاة والسلام - بما رسمه لهم على الأرض ، أن منهج الإسلام هو الصراط المستقيم الموصل إلى العزة والجنة ، وأن ما عداه من المبادئ والنظم والأفكار . هي سبل الشيطان ، وطرقه الموصلة إلى الدمار والنار .<sup>(16)</sup>

(14) تربية الأولاد في الإسلام ، ج/2 ، ص/683 .

(15) رواه الإمام أحمد في مسنده . سورة الأنعام : الآية ( 153 ) .

(16) تربية الأولاد في الإسلام .

## حسن الخلق والتحبب (6)

(( الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تنكر منها اختلف )) .  
ويزداد الإنسان بالإنسان تعارفاً إذا عامله بخلق حسن ، وتحبب إليه . وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
مثال المسلم الخلق ، حتى مدحه رب العزة فقال : (( **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ))<sup>(1)</sup> . كما مدح فيه لطف معشره وحسن  
أدبه مع الناس ، فاجتمعوا إليه وأخذوا عنه ، وجعلوه أسوتهم ، فقال : (( **وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ  
حَوْلِكَ** ))<sup>(2)</sup> ، فكان - صلى الله عليه وسلم - مهوى أفئدة من عرفه ، يقدونه بأرواحهم ، ويفضلونه على آبائهم وأولادهم

وبحسن الخلق دخل عقولهم وقلوبهم ، فصنع منهم سادة الأمم وقادتها .  
عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : (( . . . وما انتقم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لنفسه إلا أن تنتهك  
حرمة الله تعالى فينتقم الله عز وجل ))<sup>(3)</sup> .  
وكان إذا رأى خطأ من أحد أصحابه نبهه بلطف دون أن يجبهه ، فيعمم . عن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال :  
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (( لا ينبغي للمؤمن أن يكون لعاناً ))<sup>(4)</sup> .  
فالمسلم داعية ، والداعية ذو أخلاق ، والمدعو يرى الداعية ويقومه بما يفعل وما يصدر عنه من تصرف قبل أن  
يأخذ عنه ، حتى إنه - صلى الله عليه وسلم - إذا أساء إليه أحد عفا عنه ، وإذا شتمه يهودي رد عليه بما يناسب دون أن  
يفحش .

روت عائشة - رضي الله عنها - أن يهوداً أتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : السام عليكم<sup>(5)</sup> . ( أي إنهم كانوا  
يدعون على النبي - صلى الله عليه وسلم - بالموت ) .  
فألت عائشة وهي الزوج المحب لزوجها ، الصبية المندفعة غير المتروية - فقد كانت في الرابعة عشرة أو أقل - :  
وعليكم ، ولعنكم الله ، وغضب عليكم .

( إنه رد منفعل يوضح مدى التأثير الذي أصابها من اليهود حين سمعتهم يدعون على رسول الله جهاراً نهاراً بحجة  
أنهم يسلمون عليه ) .

فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : مهلاً يا عائشة ، عليك بالرفق ، وإياك والعنف والفحش ( جواب يدل على سمو  
في الأخلاق ، وترفع عن السفاسف ، وتحمل في سبيل الدعوة ، وهذا يغيب الشاتم ويقلقه ، فالمشتوم أهمله ، ولم يرد  
عليه بعنف يوحى بانفعال وتحرق ) .

قالت : أولم تسمع ما قالوا؟! . . ( سؤال لم تطلب عائشة الإجابة عليه ، إنما أرادت الدفاع عن موقفها ، فقد ردت  
عليهم بمثل ما قالوا ) .

قال - صلى الله عليه وسلم - : أو لم تسمعي ما قلت؟! . . ( وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رد عليهم  
بقوله : (( وعليكم )) فكلامهم مردود عليهم والموت لهم . فكان جوابه لها بصيغة السؤال نفسه الذي لا يحتاج لجواب ،  
بل يحتاج أن تنتبه عائشة إلى معناه وفحواه . . ) رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ، ولا يستجاب لهم في<sup>(6)</sup> .

( فهو حبيب الله ورسوله يحميه ويدافع عنه ، واليهود أعداء الله لعنهم وغضب عليهم ، فدعاؤهم على النبي - صلى  
الله عليه وسلم - لا يستجاب ، ودعاؤه عليهم مستجاب . . فالويل لهم ثم الويل لهم ) .  
أدب عظيم يعلمناه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ويجمل بنا أن نتمثله ونحياه .

ومن التحبب الذي يؤتي ثماره سريعاً : إشعار المخاطب أنه عندك ذو مكانة ، وأن له في قلبك وداً وإكراماً ، فإذا  
شعر بهذا اطمأن ، فكان إليك قريباً وإلى دعوتك مجيباً . وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بارعاً في هذا  
المضمار :

(1) سورة القلم : الآية / 4 .

(2) سورة آل عمران : الآية / 159 .

(3) رواه البخاري في الأدب المفرد ، الحديث / 274 ، ومسلم في صحيحه .

(4) رواه الترمذي والحاكم ، والبخاري في الأدب المفرد ، الحديث / 310 .

(5) السام : الموت .

(6) رواه البخاري في الأدب المفرد ، الحديث / 312 ، ومسلم والترمذي وابن ماجه والنسائي .

فقد كان يُردف بعض أصحابه وراءه في سفره ، كما فعل مع معاذ بن جبل وعبد الله بن عباس وأسامة بن زيد - رضي الله عنهم جميعاً - وكان يطلب من أصحابه أن يدعوا له فهو بحاجة إلى دعائهم ، كما كان يخص بعضهم الآخر بلفتة كريمة منه - صلى الله عليه وسلم - ، ويلقبهم بالألقاب الكريمة أو الكنى الطيبة : ( الصديق ، الفاروق ، أمين الأمة ، سيف الله . . ) وكان يدعو لبعضهم بالخير . . ويؤثر الآخرين بشيء يحبونه . . وهكذا .  
 فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : أخذ رسول الله بمنكبيّ فقال : (( كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ))<sup>(7)</sup>

تصوروا معي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدني عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - إليه ، ، ويستقبله بوجهه ، ويمسك منكبيه تحبباً ، وهو الفتى الشاب . . فيرى ذلك من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عظيماً لا ينساه ، ولقد عرّف عن ابن عمر أنه كان يمشي في المكان الذي كان رسول الله يمشي فيه ، ويتوقف في المكان الذي توقف فيه ، ويصلي في المكان الذي صلى فيه . . أليس هذا من حسن أخلاق سيد الدعاة؟! ألم يثمر هديه العملي في أصحابه ، حتى إن أبا سفيان قال في جاهليته : لقد رأيت هرقل في أصحابه ، وكسرى في أصحابه ، فلم أجد أحداً يُعظّم أحداً كتعظيم أصحاب محمد محمداً ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم .

إنك إن مدحت إنساناً مسلماً بما فيه فقد استندت أموراً عدة :

**أولها** : أنك ترفع من قدره ، وتشعره بمكانته عندك .

**ثانيها** : أنك تجعل بينك وبينه وداً ورباطاً من الأخوة والمحبة .

**ثالثها** : أنك تدفعه إلى التمسك بما فيه من خصال حميدة مدحته عليها .

**رابعها** : أنك تحثه على الاستزادة من هذه السمائل .

**خامسها** : أنه ينجذب إليك وترتاح نفسك لسماعك ومعاشرتك والأخذ عنك . وهذا ما يريده الداعية المسلم من المدعو فتصل التربية والأفكار إلى قلبه وعقله دون عائق ، فيكون لك طبعاً منقاداً . . وأنت تريد له الخير وتحرص عليه . ( على أن يكون مدحك له بما فيه ، وإلا كان نفاقاً - نعوذ بالله من ذلك - ) . وقديماً قال الشاعر :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم

فطالما استعبد الإنسان إحساناً

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأشج عبد القيس :

(( إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم ، والأناة ))<sup>(8)</sup> .

كما أنك حين تخبر أخاك أنك تحبه ، يحبك ويقبل عليك ، ويفتح قلبه لك ، وهذا ما يريده الداعية من الناس : حبٌ وودٌ وراحة نفس وإقبالٌ . فقد روى المقدم بن معدي كرب قال :

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (( إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه ))<sup>(9)</sup> .

فلا يكون الود وداً من طرف واحد .

ولن تكون العلاقة من جهة واحدة علاقة .

وسيظل الطرف الآخر يجهل نواياك تجاهه ، وتقديرك له ، وحبك إياه ، ( على أساس أنه في الله تعالى ) . إلا أن توضح ذلك فيتبادل الطرفان المحبة في الله فيكون رباط الأخوة متين العرى مكين الأركان .

(7) من رياض الصالحين الحديث / 469 / عن البخاري .

(8) الأناة : التثبت ، وترك العجلة . رواه مسلم : رياض الصالحين الحديث / 630 / .

(9) البخاري في الأدب المفرد ، الحديث / 542 / .

## الترغيب (7)

أرسل الله تعالى رسوله الكريم رحمة للعالمين ، يهديهم إلى صراط الله المستقيم ، ويفتح لهم آفاق الحياة على نهج مضيء ، وسبيل واضح .

ومن طبع الإنسان الوقوع في الخطأ والتفلسف والتهاون ، لأن الله تعالى خلقه (( على عجل )) و (( خلقه ضعيفاً )) يصيب الذنوب ، ويقترب الآثام ، ولذلك كانت الجنة للتائبين والنار للعاصين . وهنا يأتي دور المعلم الأول سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرغب أصحابه في الجنة ، ويعدهم عفو الله ومغفرته ، ويحثهم على عصيان الشيطان واللجوء إلى الرحمن ، فإن تقدموا إليه شبراً تقدم إليهم ذراعاً ، وإن جاءوه سيراً جاءهم - عز وجل - هرولة . . . وقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يرغبهم في طاعة الله ، ويعدهم الخير ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال :

خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على رهط من أصحابه يضحكون ويتحدثون فقال : (( والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً )) . ثم انصرف وقد أبكى القوم .  
فالرسول - صلى الله عليه وسلم - يعلم من الغيب ما علمه الله ، وأراه من النار وأهوالها في معراجه إلى السماء . . . فتراه يحذر المسلمين الركون إلى الدنيا والسكون إليها ، فيبكي القوم ويخافون ويدركون أن على المسلم أن يقتصد في ضحكه . . .

وأوحى الله عز وجل إليه : يا محمد لم تقنط عبادي ؟

سبحان الله . . . إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أراد تذكيرهم بالله ، والعمل بما يرضيه فوعظهم فتأثروا فبكوا . . . فأراد الله سبحانه وتعالى - حين بكوا من خشيته - أن يفرحوا لرحمته وغفرانه ، فأمر النبي عليه والصلاة والسلام أن يضحكهم كما أبكاهم ، فخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : **أبشروا وسددوا وقاربوا**(1) . . . فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها فلئن صدقت نية المسلم ، فعفو الله ومغفرته أسرع إليه وأقرب .  
وسلعة الله غالية ، وقليل من الناس من يقدر على ثمنها ، فماذا يفعل سواد المسلمين !؟

إن قيام الليل دليل على صدق المؤمن في توجهه إلى الله تعالى ، والتزام الصلاة جماعة تشهد له بالإيمان ، فهل كل الناس يستطيعون قيام الليل وإحراز فضل الإجتهد في العبادة - اللهم إلا من كتب الله له الكرامة - !!؟  
وينظر الله إلى عباده نظرة رحمة ومغفرة وحب وكرامة : فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقول : **من صلى العشاء في جماعة ، فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله**(2) .

فكان الترغيب في صلاة العشاء وصلاة الفجر جماعة ، إنهما تعدلان قيام الليل كله . ولذلك يحرص المسلم مهما كان منشغلاً في أمور حياته - إلا المضطر - أن يصليهما في جماعة لينال ثواب القيام ، وأحسن به من ثواب ! .  
ويرغب النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه ، ومن بعدهم ، في التوادد والتراحم والحب في الله ، لأن الحب في الله :

1- يجلو الصدأ عن النفوس .

2- ويجمع القلوب على مصدر واحد يتوجهون إليه جميعاً .

3- ويغرس الأخوة في نفوس المسلمين ، فيكونون صفاً واحداً وجبهة واحدة .

4- ويبعث الأمان والاطمئنان والرافة والإيثار في عالم المسلمين .

5- ويظلمهم الله في ظله يوم القيامة حين تدنو الشمس من رؤوس الخلائق .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن الله يقول يوم القيامة :

( **أين المتحابون بجلالي ؟ اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي** ) (3) .

6- ويؤدي إلى حب الله تعالى إياهم :

(1) الأدب المفرد الحديث / 254 / .

(2) رياض الصالحين الحديث / 1069 / رواه مسلم .

(3) رياض الصالحين الحديث / 375 / رواه مسلم .

عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : قال الله تعالى : ( **وجبت محبتي للمتحابين فيّ ، والمتجالسين فيّ ، والمتزاورين فيّ ، والمتبازلين فيّ** )<sup>(4)</sup> .  
ونجد الترغيب في الاستغفار حين يذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن المسلم إن أخطأ - وهو يخطئ - استغفر الله ، فأقرّ بذنبه ، وعلم أن له رباً يغفر ، فتاب إليه ، وكلما أخطأ عاد إلى ربه فتاب عليه .  
فالعلاقة - إذن - بين الرب والعبد علاقة ودٍ وحبٍ ومغفرةٍ ورحمةٍ من ذي الجلال ، وعلاقة إقرار بالعبودية ولجوء وتوبة واستغفار من العبد المحب لربه ، الراجي عفوّه ورضاه .

عن أبي أيوب الأنصاري خالد بن يزيد - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :  
( **لولا أنكم تذبون لخلق الله خلقاً يذبون ، فيستغفرون فيغفر لهم** )<sup>(5)</sup> .  
أرأيت إلى هذه الصلة الوشيحة بين العبد وربّه . . . الرب كامل كمالاً مطلقاً . . . والعبد كماله نسبي . . . والكمال النسبي فيه ضعفٌ ، وفيه نسيان ، وفيه إهمال . . . فمن يسد نقصه هذا ؟ ..  
إنه ذو الكمال المطلق . . . خالقه وبارئه على هذه الصورة ليكون محتاجاً إليه دائماً ، وليكون الغفران والرحمة من الله متواصلًا .

اللهم اكتب لنا الغفران والرحمة . . . لجأنا إليك بضعفنا فتولّنا بكمالك . . . يا رب .  
ومن الترغيب الذي يذكره سيد المرّبين - صلى الله عليه وسلم - ، فيسري عن المؤمنين الذين كثرت ذنوبهم ما رواه أبو موسى الأشعري عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : **" يجيء يوم القيامة ناسٌ من المسلمين بذنوب أمثال الجبال ، فيغفرها الله لهم "**<sup>(6)</sup> .

فما علينا - معشر المسلمين - إلا أن تأتي الله بكلمة التوحيد موقنين بها ، مقرّين بها ، عاملين بها ، فإن كثرت ذنوبنا فإله يغفرها وإن كانت أمثال الجبال . . .  
فهل هناك أفضل من هذا الترغيب ؟!!

(( **أستغفر الله** )) دأبي مذ وعيت إلى  
نفسي وحالي ، وما حصّلتُ من عمل  
(( **أستغفر الله** )) دربي للكريم إذا  
فاضت ذنوبي وضاق الصدر من خلل  
(( **أستغفر الله** )) نبراسٌ يسد ما  
آلت إليه نفوس القوم من خطل  
فهو الدواء لمن ضل الطريق إلى  
كنف الهداية أو قد لَجَّ في الهزل  
أو تاه في سعيه فالناس مُذ وجدوا  
فعنصر الخلق فيهم كان من عجل  
فيا سعادة من وافاه مقتبلاً  
ويا شقاء ضليل القلب والعقل<sup>(7)</sup>

(4) رياض الصالحين الحديث / 380 / رواه مسلم .

(5) رياض الصالحين الحديث / 421 / رواه مسلم .

(6) رياض الصالحين الحديث / 430 / رواه مسلم .

(7) من ديوان ( نبضات القلب ) لمؤلف الكتاب .



## الترهيب (8)

ليس في القرآن آية ترغيب إلا و تبعها ترهيب ، وما من آية فيها ترهيب إلا تبعها ما فيه ترغيب . . فالتريغيب والترهيب متلازمان ، والحكمة من ذلك أن مَنْ لا يؤثر فيه التريغيب وثوابه يؤثر فيه الترهيب وعقابه .

وبما أن الإنسان تعتريه حالات فيها عمل صالح وزيادة في الإيمان ونشاط في الجوارح ، تعتريه كذلك حالات تفتري فيها همته ، ويهدم نشاطه ، وتضعف نفسه ، فالثواب في الأولى يشجع على الزيادة والعقاب في الثانية يمنع عن التمادي في الغي . وكلا الأمرين جربه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وعظه أصحابه ، وكما رأينا وعظه - صلى الله عليه وسلم - مرعّباً ، فإليك وعظه مرهّباً :

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

(( . . . . . والذي نفسي بيده ، لقد هممت أن أمر بحطب ، فيحطب ،

ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها ،

ثم أمر رجلاً فيؤم الناس ،

ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم ))<sup>(1)</sup>

انظر معي إلى طريقة الترهيب كيف جاءت مرتبة منظمة تدل على :

1- انفعال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غضباً على تاركي الجماعة .

2- وأن هذا الانفعال ولّد تفكيراً مرتباً في تسلسل الأفعال التي تكاد يقرر أن يفعلها ليردع تاركي الجماعة .

3- وفضل صلاة الجماعة الكبير الذي يتركه بعضهم جاهلاً به .

4- وحرص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على توثيق عرى الجماعة .

5- والأثر الذي خلفه حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في نفوس أصحابه من حذر تقويت الجماعة ،

والخوف من التفريط فيها ، وعظيم فضلها وشنيع تركها .

ومن وعظه - صلى الله عليه وسلم - مرهّباً : ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - :

(( إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ،

فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ،

وإن فسدت فقد خاب وخسر ))<sup>(2)</sup> .

كلمة ( خاب ) ، وكلمة ( خسر ) : توحيان بالإفلاس يوم القيامة لمن لم تقبل منه صلاته ،

كما أن كلمة ( فسدت ) : توحى بالضياح وإحباط العمل ، وهذا ما يُرهّب المسلم ، أبعد العمل والجد والرغبة في

إحراز الأجر تُضيّع الصلاة فنضيّع بضياحها؟! حاشا وكلا .

وتعال معي إلى هذه الصورة المرعبة التي رواها المقداد - رضي الله عنه - في جلاء صعوبة يوم الحشر - نسأل الله

العافية - هذه الصورة التي تبعث الخوف والهلع في نفس المؤمن ، فيتحاشى هذا الموقف قدر المستطاع عن طريق

اجتناب الموبقات ، والبعد عن المهلكات ، والإكثار من عمل الصالحات ، وإحراز الأعمال المنجيات .

عن المقداد - رضي الله عنه - قال سمعت رسول - صلى الله عليه وسلم - يقول :

تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون كمقدار ميل ، قال سليم بن عامر الراوي عن المقداد : فوالله ما أدري

ما يعني بالميل ؛ أمسافة الأرض ؟ أو الميل الذي تكتحل به العين؟! .

فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق : فمنهم من يكون إلى كعبيه ،

ومنهم من يكون إلى حقويه ( خصريه أو مكان شد إزاره ) ،

ومنهم من يلجمه العرق إجماماً . . . ( وأشار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده إلى فيه )<sup>(3)</sup> .

فيوم الحشر يوم مخيف ، يقف الناس فيه كل حسب عمله ، وما العرق الذي يتدرج فيه الناس إلا حصائد أعمالهم .

(1) من رياض الصالحين / باب فضل صلاة الجماعة / رواه الشيخان .

(2) من رياض الصالحين / باب الأمر بالمحافظة على الصلوات / رواه الترمذي .

(3) رياض الصالحين الحديث / 400 / رواه مسلم .

أفلا ينبغي للناس أن يحسبوا لهذا اليوم حسابه ، فيعملوا الخير ويكثروا منه ؟ ويتجنبوا الشر وينأوا عنه ؟! .  
إنه يوم الإمتحان ، حيث يكرم المرء أو يهان ، فمن عمل صالحاً فلنفسه ، ومن عمل سوءاً فلا يلومن إلا نفسه .  
وهذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في رواية عن النعمان بن بشير<sup>(4)</sup> يصف أهون الناس عذاباً يوم القيامة ،  
والمسلمون يصغون إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كأن على رؤوسهم الطير ، مأخوذين بهذا الوصف ، ترتعد  
فرائصهم من هول ما يسمعون ، يخافون هذا المصير ويُعدون العُدَّة لتجنبه . . (( فأهون الناس عذاباً رجل يوضع في  
أخمص قدميه جمرتان ، يغلي منهما دماغه ، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً )) .  
وإني لأعجب من بعض من يدعون الباع الطويل في التربية ، والخبرة المديدة في مضمارها ، يرفضون الترهيب  
أسلوباً للتربية ويكتفون بالترغيب ، زاعمين أن الخوف من العقاب يجعل الخائف يلتزم ما يؤمر به ، وينتهي عما نهى  
عنه ، بالإكراه ، فإذا زال الخوف تفلت وعاد سيرته الأولى ، فهم لذلك يدأبون على نوع واحد من التربية هو الترغيب .  
والرد عليهم بسيط لأنه جواب الفطرة :  
أولاً : إن الله تعالى أعلم بالإنسان وما يقومه ، فهو الذي خلقه فقدره ، يعلم ما يصلحه ، والقرآن الكريم مليء  
بالترغيب والترهيب .  
ثانياً : التربية غير محددة بزمان ولا مكان حتى نقول : إذا زال الخوف تفلت وعاد سيرته الأولى ، ثم لا نقول كذلك  
: إذا زال الترغيب تفلت وعاد سيرته الأولى . . فهما مستمران إلى آخر يوم من حياة الإنسان ، كما أن الترهيب  
والترغيب لا ينبغي أن يكونا طارئین على الإنسان ، بل يجب أن يكونا من مكونات نفسه ليصاحبه في حياته ، فيكونا  
دافعاً ذاتياً إلى الخير ، وكابحاً ضمناً عن الشر .  
ثالثاً : إن الواقع ليكذب ادعاءاتهم ، فالحوافز ذات تأثير كبير في بذل الجهد للوصول إلى الهدف ، لكن الخوف من  
الوقوع في المحذور أكبر تأثيراً . فقد تجد أناساً يبذلون الجهد للوصول إلى الأحسن ، لكنك ترى عامة الناس يبذلون  
الجهد ويثابرون على أمر ما خوف الانتكاسة والعودة إلى الوراء .  
وهكذا أثبت الترهيب أنه كالترغيب تأثيراً في الموعظة . ولقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتناوله في  
عظته أصحابه بمقدار ، لأنه كجرعة الدواء المر : ينفع إن استعمل بحكمة ويُهلك إن زاد عن حده .

(4) رياض الصالحين الحديث / 396 / متفق عليه .

## التطبيق الفعلي للأمر ( 9 )

حين يأمر الأب أولاده ، والمدرس تلاميذه بحسن الخلق ، من صدق ، واستقامة ، وتسامح ، ويكونان مثلاً لما يأمران به ، يجدان تجاوباً من الأولاد سريعاً . فالأمر النظري حين يساوقه عمل يناسبه ، يدل على صدق الأمر فيما أمر به واقتناعه بما يقول ، فهو عندما يطبق على نفسه ، يكون قدوة يتأسى خطاه الآخرون فيتبعونه ، والعكس صحيح كذلك . . هذا أولاً .

أما ثانياً : فتأمل معي قول الشاعر :

وتتابع القطرات ينزل بعده غيث يليه تدفق الطوفان

فالقوة يأمر ، ثم يبدأ بنفسه ويتبعه أكثرهم حباً وأشدّهم التزاماً ، ثم الأمثل فالأمثل .

وهذا ما رأينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفعله في صلح الحديبية ، كان قد أمر المسلمين أن يخلقوا أو يقصروا فتمهلوا . . فأشارت عليه أم سلمة أن يخلق خارج خيمته ، فإن رآه المسلمون فعلوا مثله . . وهكذا كان . . خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحر ، فتواثب المسلمون ينحرون ويخلقون<sup>(1)</sup> .

فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفعل الشيء ، فيكون عمله تربية وعظة عملية . وقد جاء في ( الإصابة ) أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يداعب الحسن والحسين - رضي الله عنهما - فيمشي على يديه وركبتيه ويتعلقان به من الجانبين ، وكان يقول : (( نعم الجمل جملكما ، ونعم العذلان أنتما ))<sup>(2)</sup> .

وقد سن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للمسلمين أن يداعبوا أولادهم ، فيدخلوا إلى قلوبهم ، ويأنسوا بهم ، وليس صحيحاً ما يدعيه بعضهم أن هذا اللعب قد يُذهب من هيبة الآباء أمام الأبناء . وكان - صلى الله عليه وسلم - يكرم الكبار والصغار على حد سواء ، ولم يكن يتعالى على خدمه ، إنما عاملهم معاملة الأبناء ، وحفظ لهم كرامتهم ، فذكروهم بكل محبة وإجلال . هذا خادمه أنس - رضي الله عنه - يحدثنا عن سيد البشرية قائلاً :

(( فخدمته في السفر والحضر ، مقدمه المدينة ، حتى توفي - صلى الله عليه وسلم - ، ما قال لي عن شيء صنعته : لم صنعت هذا وهكذا<sup>(3)</sup> . وكان يأمر الناس باللطف وهو ألطفهم ، فلا يرى منه من حوله سوى الأبوّة والسماحة . . فكان قدوة لمن بعده بمسلكه التطبيقي الرائع .

وانظر معي إلى جميل فطنته مع أصحابه إذ يعلمهم من الحياة اليومية ، يمارسها أحدهم فيقرأها - صلى الله عليه وسلم - وبينه أصحابه إلى فضلها ، ويحثهم - بطريقة غير مباشرة - عليها .

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال :

(( قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : من أصبح اليوم منكم صائماً ؟

قال أبو بكر : أنا .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : من عاد منكم اليوم مريضاً ؟

قال أبو بكر : أنا .

قال : من شهد منكم اليوم جنازة ؟

قال أبو بكر : أنا .

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ما اجتمعت هذه الخصال في رجل في يوم إلا دخل الجنة ))<sup>(4)</sup> .

درس عملي فيه من الفضائل :

- صوم نافلة . - وعبادة مريض .

- وشهادة جنازة . - وإطعام مسكين .

(1) السيرة النبوية لابن هشام ، مطبعة الرياض الحديثة ج /3/ ، ص /204/ .

(2) عن تربية الأولاد في الإسلام ، ج /2/ ، ص /684/ .

(3) رواه الشيخان ، وكرره البخاري في الأدب المفرد ، الحديث /164/ .

(4) الأدب المفرد الحديث /602/ .

في يوم واحد يفعل المسلم هذا كله !! . فلذلك فليعمل العاملون . . إنه والله الطريق إلى الجنة والفوز بمرضاة الله سبحانه وتعالى .

وكان أنس - رضي الله عنه - مر على صبيان ، فسلم عليهم وقال : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يفعله<sup>(5)</sup> .  
فما فعل أنس ذلك إلا حين انطبع في قلبه ، وارتسم في عقله ، وثبت في وجدانه واختلط بعباداته ، ما رآه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فالتطبيق العملي أدعى إلى التنبيه والإقبال على العمل .  
ولم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكتفي بالكلام موعظة فقط ، ولا بالعمل موعظة فقط ، إنما كان يشرك حواس الناس في الانتباه والفهم ، فقد روى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال :  
( أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حريراً بشماله ، وذهباً بيمينه ، ثم رفع بهما يديه فقال : إن هذا حرام على ذكور أمتي ، حل لإناثهم ))<sup>(6)</sup> .

إنها عظة اشترك فيها الصوت والحركة ، فكانت العظة حين تنبض بها العروق ، ملونة تشترك فيها الحواس .  
وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال :

(( قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غداة العقبة ( يوم النحر ، بعد النزول من مزدلفة ) : هات ، القبط لي .  
( أي اجمع لي حصيات لرمي الجمار في العقبة ) ، فلقطتُ حصيات من حصى الحذف ( حصيات صغار ) ، فلما وضعتهن في يده قال :

بأمثال هؤلاء ، ( أي ارموا بحصيات صغيرة كهذه الحصيات ) وإياكم والغلو في الدين ( خوفاً من أن يرمي الناس بحجارة كبيرة ظانين أنهم يحسنون صنعاً ، وليس بشيء ) ، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين ))<sup>(7)</sup> .  
1- أمر عبد الله بن عباس فجمع له حصيات ، وأمره أن تكون صغيرة ففعل ، فكان هذا درساً يعلمه عبد الله خاصة ، والناس عامة .

2- أمسكها - صلى الله عليه وسلم - بيده الشريفة ، ويشير بها إلى الناس ( باستخدام اسم الإشارة : هؤلاء ) ليرؤوها .  
3- يردف الفعل بالكلام لتتشترك حاستا السمع والبصر في تمثّل الفكرة التي أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بها .

وإنها - والله - الطريقة القديمة الجديدة في تربية النشء الإسلامي ، والوسيلة الناجعة في تعليم الكبار والصغار على حد سواء .

(5) رياض الصالحين الحديث /602/ ، متفق عليه .

(6) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه في سننهم .

(7) أخرجه النسائي في باب التقاط الحصى ، وإسناده صحيح .



## التنافس على تبوؤ المكانة العالية (10)

لا بد للكلمة الطيبة أن تؤثر في النفس السوية وتتفاعل معها ، فإذا تخير صاحبها مكانها وزمانها فوعظ بها السامعين كان الأثر أكبر وأعم وأنفع ، وسعى السامع - بعد التأثر بها وتمثيلها - إلى العمل بها . .  
ويزداد رغبة في التسامي ، ونيل المرتبة العليا إذا كان هناك تنافس أخوي يرجو به صاحبه الوصول إلى رضوان الله وكرامته ، وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعظ أصحابه أحياناً بما يجعلهم يتطلعون إلى تبوؤ المكانة العليا عند الله ورسوله .

ومما كان يفعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ما رواه سهل بن سعد - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يوم خيبر : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه .  
( إذا ؛ من سمات القائد المقبل الذي يختاره - صلى الله عليه وسلم - :  
أولاً : أنه سيستلم راية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وأعظم بها من راية ! لن يقلده إياها رجل من الرجال مهما كان عظيماً ، إنما الذي يقلده إياها حبيب الله ورسوله .  
ثانياً : أنه رجل يتحلى بصفات الرجولة الكاملة ، وهذا وصف أصدق الرسول عليه .  
ثالثاً : أنه مؤمن يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله . وهو وصف صادر عن أكثر الناس إيماناً ، إنه الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام .

رابعاً : أن النصر على اليهود كائن على يديه ، وهي بشرى عظيمة لأن من يفتح خيبر مجاهد في سبيل الله ، أما من يسالم اليهود - مهما كان السبب - فهو عديم الإيمان . . ( نقولها ونحن مطمئنون إلى صحة ما نقول ) .  
فبات الناس يدوكون<sup>(1)</sup> ليلتهم ، أيهم يُعطاها ، فلما أصبحوا غدواً على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وكلهم يرجو أن يُعطاها .

كلمة قالها النبي - صلى الله عليه وسلم - فبات الناس يقلبون الوجوه ويتساءلون : من هذا الذي عناه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وكلهم يرجو أن يكون هذا الرجل . أرأيت إلى التنافس الإيجابي؟! .  
وعند الصباح ، وفي صلاة الفجر ، ذهب الجميع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تشرئب أعناقهم إليه ويتطاولون ، عسى أن ينتبه إلى المحظوظ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيختاره ، فيعود بربح الدنيا والآخرة .  
قال - صلى الله عليه وسلم - : أين علي بن أبي طالب ؟  
فقيل : هو يشتكي عينيه . ( فيهما رمد يضعف الرؤية ) .  
فأرسلوا إليه ، فأتي به ، فبصق في عينه ، ودعاه ، فبرئ كأن لم يكن به وجع . فأعطاه الراية .  
فقال علي : يا رسول الله ، أقاتلتهم حتى يكونوا مثلنا ؟

فقال - صلى الله عليه وسلم - : انفذ على رسلك ، حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى . فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم<sup>(2)</sup> .  
ومن الأحاديث التي حث فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسلمين أن يتنافسوا على فعل الخيرات وإحراز المبرات ، ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :  
إن لله تسعة وتسعين اسماً من حفظها دخل الجنة<sup>(3)</sup> .  
وفي رواية للبخاري : من أحصاها دخل الجنة .

فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد من المسلمين :

1- أن يحصوا أسماء الله تعالى .

2- أن يحفظوها .

(1) يدوكون : يخوضون ويتداولون الرأي .

(2) حمر النعم : إبل أصيلة لونها يضرب إلى الحمرة . والحديث رواه بخاري ومسلم .

(3) رواه البخاري ومسلم .

3- أن يتخلقوا - ما استطاعوا - بهذه الصفات ليحبهم الله تعالى ، لأن التخلق بها تقرب إلى الله وتعبير عن حبه ، والتزام دينه واتباع شريعته . ولا بد للمسلم أن يحوز ذلك لينال رضوان الله وفضله .  
ومن الأحاديث التي تحض - كذلك - على التنافس لتبوء المكانة العالية : ما رواه أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان<sup>(4)</sup> . وقال تعالى : ( إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ )<sup>(5)</sup> .  
فالمسلم يرتاد المساجد ، ويحرص على ذلك ليشهد له بالإيمان في الدنيا وفي الآخرة .  
اللهم اجعلنا من هؤلاء ، وتقبل منا إنك أنت السميع العليم .

---

(4) رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن .

(5) سورة التوبة : الآية 18 .

## الحلم ومخاطبة الناس على قدر عقولهم (11)

يقول الله تعالى للنبي - صلى الله عليه وسلم - : ( **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ . . .** ) (1)

هذه الآية مفتاح للحلم الذي وهبه الله تعالى نبيه الكريم . فانه تعالى قدر للمسلمين الخير والرحمة ، فربى النبي - صلى الله عليه وسلم - لينا هينا معهم ، يحبهم ، ويجهد في التلطف بهم ، يخفض لهم جناحه ، ويحبوهم من وده الكثير ، وعطفه الوفير ، فاجتمعوا حوله ، وبادلوه حباً بحب ، ووداً بود ، وفضلوه على آبائهم وأبنائهم وأنفسهم ، واجتمعوا على تعظيمه ، فأفادوا منه . ولو كان فظاً غليظ القلب لجافوه ، وابتعدوا عنه ، وحاشاه أن يكون كذلك ، فهو بالمؤمنين رؤوف رحيم . ( **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ) (2) .

وقد سجل لنا أصحابه الكرام مواقف كثيرة عن حلمه بهم ، واتساع صدره لهم ، فكان لهم نعم المربي والمعلم ، وكانوا له نعم الأتباع والتلاميذ .

من ذلك ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال :

بال أعرابي في المسجد ، فقام الناس إليه ليقعوا فيه (3) فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - :

**دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من الماء ، ( أو ذنوباً من ماء ) ، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين** (4) .

فالأعرابي اعتاد أن يبول في أي مكان يشعر فيه بالحاجة إلى ذلك دون قصد ، فهو - في رأيه - لم يفعل ما يلام عليه ، والمسجد رمل كما الصحراء كلها . والحقيقة أن الإنسان لا يلام إلا على ما علمه . لكن الناس قاموا إليه : هذا يوبخه ، وذاك ينهره ، والثالث يصرخ فيه ، والآخر يكاد يضربه ، وهو لا يدري سبباً لكل ذلك ، وإن درى فهو يعجب لتصرفاتهم . لم يزعجونه ؟ وعلام يوبخونه ؟!! .

وما يلبث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يرى ذلك - أن يأمرهم بما يلي :

1- الكف عنه ، لأن الزجر والسب لا يصلح الأخطاء .

2- تطهير المكان ، وذلك بأن يريقوا عليه دلواً كبيرة مملوءة ماء .

3- أن يلتزموا الهدوء واللطف لأنهم بعثوا ميسرين لا معسرين ، ودعاة إلى الدين لا منفريين منه .

فما كان من البدوي بأفقه الضيق - حين رأى ما فعلوا به وما أمرهم به النبي صلى الله عليه وسلم - إلا أن دعا الله عز وجل معلناً عن ضيقه منهم ، وإكباره النبي - صلى الله عليه وسلم - : ( **اللهم ارحمني ومحمداً ، ولا ترحم معنا أحداً** ) ، إذ كيف يدعو للباقيين وقد أخرجوه ؟!! . أما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد كف أذاهم عنه وانقذه منهم ، فحق أن يدعو له .

ودعاء البدوي بالخير للنبي - صلى الله عليه وسلم - يدل على أن نفسه ارتاحت إليه ، وسيقبل منه ما يدعو إليه من الدين الجديد . وهنا اغتنم النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا الانفتاح النفسي ، وبيّن له أن المسجد مكان طاهر ، لا ينبغي له إلا الطهارة . . وطلب إليه أن يدعو للناس جميعاً ، لأن رحمة الله أوسع .

ومن حلمه - صلى الله عليه وسلم - ما رواه أنس - رضي الله عنه - قال : (( كنت أمشي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي ، فجبذه جبذة (5) شديدة ، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد : مُر لي من مال الله الذي عندك .

فالتفت إليه ، فضحك ، ثم أمر له بعطاء (6) .

لو كنت مكان النبي - صلى الله عليه وسلم - وشدّ أحدُهم من فتحة قميصك فأثر في عنقك . . ماذا كنت تفعل ؟

(1) سورة آل عمران : الآية 159 .

(2) سورة التوبة : الآية 128 .

(3) أي سباً وشتماً و . . .

(4) من رياض الصالحين الحديث / 634 / رواه البخاري . والسجل أو الذنوب من الماء : الدلو الممتلئ ماء .

(5) الجبذة والجبذة شيء واحد .

(6) الصفحة : الجانب ، والعاتق : ما بين العنق والكتف ، والحديث من رياض الصالحين رقم / 643 / متفق عليه .



إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يفعل ما قد يخطر ببالك ، إنما التفت إليه وضحك له ، وأمر له بما أراد . وهكذا يكون الدعاة إلى الله ، لا يغضبون لأنفسهم ، ويتحملون في سبيل الله وفي سبيل دعوته ما يجعل الأعداء أصدقاء ، والكارهين ذوي ود ووفاء .

وفي حديثه - صلى الله عليه وسلم - عن الأعرابي الذي جاءه فاستترفه ، فأعطاه وقال له : **أحسنْتُ إليك ؟** قال الأعرابي : لا ، ولا أجملت ، فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا إليه ، فأشار النبي - صلى الله عليه وسلم - أن كفوا ، ثم أخذه إلى بيته ، وأعطاه ، وسأله : **هل أحسنْتُ إليك ؟** قال الأعرابي : فجزاك الله من أهل عشيرة خيراً . فأمره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يقول هذا الكلام أمام أصحابه كي يزول غضبهم منه ، ففعل الأعرابي ذلك .

وحديثه يوضح طريقته - صلى الله عليه وسلم - في معاملة أهل الجفوة والبدواة ، فيقول : **إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه ، فأتبعها الناس ، فلم يزيدها إلا نفوراً ، فقال لهم صاحب الناقة : خلوا بيني وبين ناقتي ، فأنا أرفق بها ، وأنا أعلم بها ، فتوجه إليها صاحبها ، وأخذ لها من قشام الأرض - أي من نبات الأرض - ودعاها حتى جاءت واستجابت ، وشد عليها رحلها ، وإني لو أطعتم حيث قال ما قال ، لدخل النار** (7) .

ومن عظيم حلمه وتلطفه في دعوته وكسب قلوب الناس لتقرُّغ إليه فتأخذ عنه ، وتسلم إلى الله عز وجل ، ما رواه زيد بن سعة الذي عرّف - وكان يهودياً - أن كُتِبَ لليهود تصف الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالحلم ( يسبق حلمه جهله ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حِلماً ) ، وتقصّى زيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أن اشترى من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تمراً ، ونقده الذهب على أن يأخذ التمر في أيام معلومة ، وجاءه قبل الأجل بأيام ، وأخذ بمجامع قميصه ، ورداؤه على عنقه ، ونظر إليه بوجه غليظ وقال : **ألا تفضيئ يا محمد حقي ؟!** فوالله إنكم يا بني عبد المطلب مُطل (8) . فقال عمر رضي الله عنه : **أي عدو الله ، تقول لرسول الله ما أسمع ؟ فوالله لولا ما أحاذر فوته** (9) لضربت بسيفي رأسك .

فتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمر عمر أن يفعل غير هذا . . أن يأمر رسول الله بحسن القضاء ، ويأمر زيداً بحسن الاقتضاء ، وأمر أن يقضيه حقه ويزيدَ عشرين صاعاً مكان ترويجه !! أي فزعه . فأمن زيد - لما رأى من حلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (10) .  
أليس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو القائل :  
( ( إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه ) ) (11) .

(7) من كتاب : سيدنا محمد رسول الله ، شمائله الحميدة وخصاله المجيدة ص 244 .

(8) تؤخرون عن أداء الحق ، وتسوفون الموعد مرة بعد مرة .

(9) أي من بقاء الصلح بين المسلمين وبين اليهود إذ ذاك .

(10) قصة إسلام زيد بن سعة ، بتصرف ، من كتاب : سيدنا محمد ، شمائله . . . ص / 254 - 255 / .

(11) رياض الصالحين الحديث / 633 / رواه مسلم .

## طريقة الخطوات المتتالية (12)

إن المعلم الناجح يقسم درسه إلى فقرات متتالية ، ويستعين بهذا التقسيم على إيصال المعلومات مرتبة : واحدة إثر واحدة ، ولا ينتقل إلى الثانية إلى بعد أن يفهم تلاميذه الأولى ، وهو بهذا يتيح لهم الفرصة لفهم ما يتلقونه أولاً بأول واستيعابه ، ويكون ناجحاً إذا ربط الموضوع

( بفقراته كلها ) موضحاً بدء كل فقرة وانتهائها ، وعلاقتها بما بعدها . . .

وإذا تابعنا أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وجدنا قسماً كبيراً منها يتبع هذا الأسلوب النافع الدال على قدرة فائقة في إيصال المراد إلى السامع ، والتأكد من أنه تلقى العظة والعبرة واستوعبها .

وهذا ما نجده واضحاً في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : لما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - معاذاً إلى أهل اليمن ، قال له : إنك لتقدم على قوم من أهل الكتاب :

1- فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى .

2- فإذا عرفوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم .

3- فإذا صلوا ، فأخبرهم أن الله تعالى فرض عليهم زكاة في أموالهم ، تؤخذ من غنيهم فترد إلى فقيرهم .

4- فإذا أقرؤا بذلك فخذ منهم ، وتوق كرام أموال الناس<sup>(1)</sup> .

**نلاحظ :** 1- أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عرّف معاذاً - رسوله - بأهل اليمن ، فهم ليسوا وثنيين ولا عباد أصنام ، فلا يفرض الإسلام عليهم فرضاً ، فاستعمل الحكمة معهم .

2- وهم يعرفون الله تعالى ، لكن معرفتهم إياه - سبحانه - مختلطة ، فهم يجعلونه ثالث ثلاثة ويجعلون عيسى عليه السلام ابنه ، فادعهم إلى توحيده - سبحانه - وبيّن لهم خطأ اعتقادهم .

3- فإذا عرفوا الله حق المعرفة وجب أن يعوبده ، وأول العبادات مرتبة : الصلاة ، فبيّن لهم أن الصلاة عماد الدين ، وأنها تقرب العبد من مولاه ، وأن ما بين الرجل والكفر ترك الصلاة .

4- فإذا صلوا فقد دخلوا الإسلام ، وجاءت العبادات الأخرى وراءها ، والزكاة مقدمة على غيرها . . وأعلمهم أن الزكاة ليست إتاوة تدفع للحاكم - فلربما استصعبوها !! فأنبئهم أنها للتكافل الاجتماعي ، (( حق يؤخذ من الغني فيهم فيرد إلى فقيرهم )) فهذا أدعى إلى الرضا بها .

5- فإن أقرؤا بها فخذ منهم زكاة أموالهم ، وتجنب ما يحبون ويضنون به ( وهذا يدل على عمق فهم أغوار النفس الإنسانية ) . . .

وأنت تلاحظ من حديثه - صلى الله عليه وسلم - ما يلي :

1- التدرج من الأهم إلى الأقل أهمية ( ولا تنس أنها - كلها - مهمة ) : المقدمة : ( تعريفهم بالدين ) ثم التوحيد ، ثم الصلاة ، ثم الزكاة . . .

2- الكلمات الرابطة بين الفقرات : (( إنك لتقدم ، فليكن أول ، فإذا عرفوا ، فإذا صلوا ، فإذا أقرؤا . . ))

فالتعبير الثاني ( ليكن أول ) نتيجة للأول ( إنك لتقدم ) .

والتعبير الثالث ( فإذا عرفوا ) نتيجة للتعبير الثاني .

والتعبير الرابع ( فإذا صلوا ) نتيجة للثالث .

والتعبير الخامس ( فإذا أقرؤا ) نتيجة للرابع .

خطوة بعد خطوة ، وطلب إثر طلب ، وانتقال وثيق يدل على تلازم الفقرات كلها . . وهكذا يستوعب السامع العظة والعبرة ، ويتفهمها ويهضمها .

ونجد هذه الخطوات واضحة فيما رواه أبو ذر الغفاري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قيل له : أي الأعمال خير ؟

قال - صلى الله عليه وسلم - : إيمان بالله وجهاد في سبيله .

قيل : فأَي الرقاب أفضل ؟

(1) رواه البخاري برقم / 6937 .

قال - صلى الله عليه وسلم - : أغلاها ثمناً ، وأنفسها عند أهلها .  
قيل : أفرأيت إن لم أستطع بعض العمل ؟  
قال - صلى الله عليه وسلم - : فثعنين صانعاً ، أو تصنع لأخرق .  
قيل : أفرأيت إن ضعفت ؟

قال - صلى الله عليه وسلم - : تدع الناس من الشر ، فإنها صدقة ، تصدقُ بها على نفسك (2) .  
أنت تلاحظ في حديثه - صلى الله عليه وسلم - ما يلي :

1- التدرج من الإيمان إلى الإحسان إلى الناس ، إلى مساعدتهم إلى كف الأذى عنهم . أي من المهم إلى الأقل أهمية

2- أما أداة الربط فهي : السؤال والجواب والمحاورة بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسائله .

وفي حديث آخر نرى هذه الطريقة واضحة : عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (( كل معروف صدقة ، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وأن تفرغ دلوك في إناء أخيك )) (3) .

فتأمل معي وصف المعروف . . فهو صدقة تتصدق بها على أخيك المسلم ، فإذا عرف المسلم أن المعروف يُثاب عليه جاءت طريقة من طرق المعروف التي لا تكلف كثيراً . . الابتسام وطلاقة الوجه ، وحرارة لقاء المسلم أخاه المسلم ، والتحبب إليه ، وإشاعة الراحة والهناء في جو الأخوة .  
ثم ينتقل المسلم من الصدقة التي لا تكلف الكثير إلى الصدقة التي فيها عطاء وإيثار ، لأن الذي تؤثره على نفسك أخوك المسلم ، ثم إلى الصدقة التي فيها بذل وسخاء ، وهنا تهون الدنيا أمام إخوان العقيدة ، ويرخص الغالي في سبيلهم . . وما أعظمها من أخوة .

ومن التعليم بطريق الخطوات ، ما رواه ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (( أقيموا الصفوف ، وحاذوا بين المناكب ، وسدوا الخلل ، ولينوا بأيدي إخوانكم ، ولا تذروا فرجات للشيطان ، ومن وصل صفاً وصله الله ، ومن قطع صفاً قطعه الله )) (4) .

ألا ترى معي أن التعليم المتدرج في هذا الحديث جاء صورة حية تبدأ من قيام المسلمين إلى الصلاة ، وحرص الصفوف ، والتكاتف بينهم بود وإخاء ، يفسح بعضهم لبعض ، ثم يكونون لحمة واحدة ليس للشيطان منفذ بينهم ، وتغشاهم رحمة الله تعالى .

هذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعلم البشرية حتى هذه اللحظة وإلى قيام الساعة ، الطريقة الحديثة القديمة في الوصول إلى قلوب العباد ، وهدايتهم إلى طريق الرشاد .

(2) رواه الشيخان .

(3) الأدب المفرد الحديث / 304 / .

(4) رياض الصالحين ، باب الصف الأول ، رواه أبو داود .

## أسلوب الحكيم ( الالتفات إلى الأهم ) ( 13 )

يكون الرسول - صلى الله عليه وسلم - جالساً بين أصحابه - رضوان الله عليهم - يعلمهم ويربيهم ، يحادثهم ويحاورهم ، يبسطهم ويوادهم . . فيهم الألمعي الذكي ، وفيهم البسيط الغر ، وفيهم الصغير الغمر القليل الخبرة ، وفيهم ذو السن الذي حنكته التجارب وعركته الحياة ، فدرى كنهها وذاق حلوها مرها . .  
ويسأله أحدهم سؤالاً ليس له جواب ، إما لأنه من علوم الغيب التي استأثر الله سبحانه نفسه بها فلا يطلع عليه أحداً ، وإما أن الجواب ليس له فائدة تذكر ، والمعرفة به لا تضيف جديداً ، وهنا يستغل النبي - صلى الله عليه وسلم - السؤال ويبني عليه قضية جديدة جديرة بالنظر والتفكير والتأمل ، جديرة بالعمل فيما ينتج عنها ، وهذا هو الأهم .  
فمن ذلك ما رواه أنس - رضي الله عنه - أن أعرابياً سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - :

فقال : متى الساعة يا رسول الله ؟

فقال له الرسول - صلى الله عليه وسلم - : ماذا أعددت لها ؟

قال : حب الله والرسول .

فقال - صلى الله عليه وسلم - : أنت مع من أحببت<sup>(1)</sup> .

فالأعرابي - كما رأينا - يسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أمر غيبي لا يعرفه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا ينتج عن معرفته أمر إيجابي ، ولا عن الجهل به أمر سلبي ، وهنا نجد أسلوب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويسميه البلاغيون : أسلوب الحكيم أو الالتفات إلى الأهم - فيجيب عن سؤاله بسؤال : ماذا أعددت لها ؟  
فالمهم في معرفة يوم القيامة الاستعداد لها ، والعمل الدؤوب الناصح ، وعندها يقر الأعرابي أنه قليل العمل ، ضعيف المهمة ، إلا أن في قلبه حباً عظيماً لله سبحانه ولرسوله الكريم . .

جواب - إن صدق فيه - عظيم ، فهذا جوهر الإيمان ، وحقيقة الإسلام ، وهنا يقرر النبي - صلى الله عليه وسلم - قاعدة نورانية ، ضياؤها يشع ويملأ النفوس أملاً ، والقلوب سعادة ، والجوانح خشوعاً : أنت مع من أحببت ، وهل هناك هدف أسمى وأعظم من هذا الهدف !!؟

قال أنس - في رواية أخرى - فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الإسلام أشد مما فرحوا يومئذ<sup>(2)</sup> .

ومن هذا القبيل ( أسلوب الحكيم والالتفات إلى الأهم ) ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أن امرأة أتت النبي - صلى الله عليه وسلم - بصبي .

فألت : ادع له ، فقد دفنت ثلاثة .

فقال : احتظرت بحظار شديد من نار<sup>(3)</sup> .

فهذه امرأة - كما قرأنا - فقدت ثلاثة من أطفالها ، فلما ولد الرابع جاءت به النبي - صلى الله عليه وسلم - كي يدعو له بطول العمر . . ودعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - مستجاب ، ويحق لها ذلك ، فهي أم ، وما أدراك من الأم !! فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما أرادت ، لكنه نبهها والمسلمين إلى فضل من الله عظيم كتبه - تعالى - لمن يفقد أبناءه : إنه النجاة من النار .

ومن هذا القبيل أيضاً : ما رواه عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يريد الجهاد فقال له الرسول - صلى الله عليه وسلم - : أحي والداك ؟

قال : نعم .

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ففيهما فجاهد<sup>(4)</sup> .

لفتة عظيمة من القلب الرحيم ، والمعلم العظيم ، ودرس رائع من أستاذ الأساتيد ، ومعلم الناس الخير . فالجهاد ذروة سنام الإسلام - لا شك في ذلك ولا ريب - لكن رضاء الوالدين والقيام عليهما ، وتلبية حاجتهما جهاد وأي جهاد !!

(1) رواه الشيخان .

(2) في الأدب المفرد الحديث / 353 / ، رواه الترمذي وأبو داود والنسائي والطبراني .

(3) احتظرت : اتقيت ، ونجوت . والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، والبخاري في الأدب المفرد برقم / 145 / .

(4) رواه البخاري في الأدب المفرد ، الحديث / 20 / .

إن قيامك على أمرهما ، وإرضاءك لهما جهاد عظيم فلا تتفوّته أيها المسلم .  
وفي رواية أخرى عن رجل جاء يبايع على الهجرة ، وترك أبويه يبكيان ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم  
:-  
ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما<sup>(5)</sup> .  
وأسلوب الحكيم قلّ من يستعمله ، فهو يحتاج إلى سرعة البديهة ، وذكاء ، وحسن في الأداء.

---

<sup>(5)</sup> رواه البخاري في الأدب المفرد الحديث / 19 ، وأخرجه مسلم والنسائي وغيرهما .

## الدعابة (14)

يروى أبو هريرة - رضي الله عنه - أن أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - قالوا له مرة : يا رسول الله ، إنك تداعبنا . قال : إني لا أقول إلا حقاً<sup>(1)</sup> .

في هذا الحديث نرى أن الصحابة كانوا يعتقدون :

- 1- أن الدعابة جاد دائماً لا يعرف الدعابة .
- 2- أنهم - بناء على ذلك - تعجبوا إذ رأوا النبي - صلى الله عليه وسلم - يداعبهم .
- 3- وكان المزاح - ولو بمقدار - يذهب هيبة الدعابة .

ويرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

1- أن لكل مقام مقالاً : ففي المواضع التي تحتاج الجد لا ينبغي أن يكون المزاح ، وأن الأمور التي تفيد فيها الملاطفة ينبغي أن لا تكون كلها جاداً .

2- أن المداعبة من الفطرة الإنسانية ، وأن الترويح عن النفس بين الفينة والأخرى مطلب دعوي .

3- أن قلة المزاح والاعتدال فيه لا تسقط هيبة الدعابة ، بل تحببه إلى النفوس .

4- أن على الدعابة في مداعبته أن لا يتجاوز الحق والصدق .

ولذلك كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يلاطف أصحابه ويداعبهم على القاعدة التي ذكرناها .

ومن الأمثلة على ذلك : ما رواه أنس بن مالك قال : جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يستحمله<sup>(2)</sup> ، فقال -

صلى الله عليه وسلم - : إني حاملك على ولد الناقة .

قال : يا رسول الله ، ما أصنع بولد الناقة ؟

فقال - صلى الله عليه وسلم - : وهل تلد الإبل إلا النوق<sup>(3)</sup> .

فالرجل يطلب ناقة أو جملأ يحمله إلى قبيلته ، فالطريق طويلة ، والهدف بعيد ، ورجلاه لا تحملانه إليه . ورسول

الله - قبل أن يعطيه - يتحجب إليه فيداعبه قائلاً : إني حاملك على ولد الناقة .

ولد الناقة؟ الحُوار<sup>(4)</sup>؟! . . وما يفعل به أو بما هو أكبر منه؟ إنه وليد صغير ، وهل يستطيع الوليد أن يحمل

المسافر وسفره؟! . .

ويبتسم الرسول - صلى الله عليه وسلم - ابتسامة المحب الودود : وهل تلد الإبل إلا النوق؟ إنه الجمل المطلوب بعينه

وكان - صلى الله عليه وسلم - مرة - يزور أم طلحة ( وهي أم أنس بن مالك رضي الله عنهما ) ، فرأى طفلها

الصغير حزيناً لأن عصفوره الذي كان يلعب به مات ، فيداعبه ويبتسم إليه قائلاً : يا أبا عمير ، ما فعل النغير<sup>(5)</sup> ؟

نستفيد من هذا الحديث أموراً عدة منها :

1- أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يتواضع للصغار ويلطفهم .

2- أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يتحجب إليهم فيكنيهم وهم صغار ( يا أبا عمير ) فيشعرهم بأهميتهم لديه .

3- وأنه يهتم بخصوصياتهم ( ما فعل النغير؟ ) ، وينتظر من الطفل أن يقابله بالبشاشة والابتسام ، وأن يبادل له الحب

والاستلطاف .

ولن نفعل ما فعله الإمام الشافعي - رضي الله عنه - حيث استنبت من هذا الحديث كما قيل ثماني وعشرين فائدة ، فلن

نبلغ شعرة في مفرقه ، رضي الله عنه .

روى أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أخذ بيد الحسن أو الحسين - رضي الله عنهما

- ثم وضع قدميه على قدميه ، ثم قال : تَرَقَّ ( أي اصعد )<sup>(6)</sup> .

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد الحديث / 265 .

(2) يستحمله : أي يطلب دابة تحمله .

(3) الأدب المفرد الحديث / 268 .

(4) الحُوار : بضم الحاء : ولد الناقة منذ ولادته إلى فصله وفطامه .

(5) رواه البخاري في الأدب المفرد الحديث / 269 .

فهل قلص هذا العمل من مكانة النبي - صلى الله عليه وسلم - في نفوس أصحابه ؟ ..  
لا ، وألف لا ، فهكذا يكون المسلم : مع الكبار لطيفاً ، وعلى الصغار عطوفاً .  
وهل يجفرو الأب ريحانته ؟! .. وهل يقسو عليه ولا يرحمه ؟! ..  
فكيف وهذا الأب سيد البشر الذي صنعه الله تعالى على عينه - صلى الله عليه وسلم - ؟!  
وانظر معي - يارعاك الله - إلى مداعبته أهله ..  
إنه الآن مع السيدة الجليلة حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عائشة الصديقة بنت الصديق - رضي الله عنهما -  
فتعال إليها نسمع ما تقول :

قال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إني لأعرف غضبك ورضاك .  
قالت : قلت : وكيف تعرف ذلك يا رسول الله ؟  
قال : إنك إذا كنت راضية قلت : لا ، ورب محمد ، وإذا كنت ساخطة قلت : لا ، ورب إبراهيم .  
قالت : قلت : أجل ، لست أهاجر إلا اسمك<sup>(7)</sup> ..

لقد بين - صلى الله عليه وسلم - أنه مهتم بها ، فقد عرفها في رضاها وسخطها من قسَمها ، وليس أظلى على الإنسان  
من أن يشعر أن من يخالطه ويعيش معه مهتم بصغير أمره وكبيره ، فتزداد منزلته عنده ، ويركن إليه ، ويستفيد منه .  
أرأيت - أخي الحبيب - كيف كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في دعابته يدخل إلى قلب محدثه ويمتلكه ؟! ..  
والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، وعودة منك إليها تزيدك - أخي المؤمن - إعجاباً بقُدوتك ، وهاديك ، بطرائقه  
الدعوية السامية إلى رضوان ربك . . . سيدك وسيدي محمد - صلى الله عليه وسلم - .

(6) رواه البخاري في الأدب المفرد الحديث / 270 .

(7) أخرجه الشيخان ، وفي الأدب المفرد الحديث / 403 .





## التلميح دون التصريح (15)

قد يتصرف أحد المسلمين - وهو يبغى الخير لنفسه - تصرفاً لا يرضى عنه النبي صلى الله عليه وسلم - ، والرسول معلم مربٍ يأخذ بأيدي أصحابه إلى الطريق الصحيح والسبيل القويم ، فهل ينبهه مباشرة ؟ ..  
قد يفعل ذلك بعيداً عن أعين الناس إن كان الأمر خاصاً ، أو دفعاً للإحراج ، فالنصيحة في السر أبلغ . وقد ينبه إلى الأمر بطريق غير مباشر :

1- إذا كان الأمر مُهمّاً ينبغي أن يعلمه الجميع .  
2- ويُستحسن أن يُترك مَنْ فعل الخطأ بعيداً عن عيون الآخرين ، فيظل الاحترام سائداً بين جميع المسلمين .  
- فقد جاء ثلاثة - من الصحابة - إلى بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا ، كأنهم تقالوها<sup>(1)</sup> ، وقالوا : أين نحن من النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر !

قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبداً .  
وقال الآخر : وأنا أصوم فلا أفطر .  
وقال الآخر : وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً .  
فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ .  
أما والله إنني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، ولكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني<sup>(2)</sup> .

هنا نجده - صلى الله عليه وسلم - يجمعهم . . . وينبههم إلى وجوب اتباع سنته مباشرة . ولكنه يرى ما فعلوه أمراً مهماً يجب أن يبلغ الناس ، فيعلموا أن الدين يسرٌ وليس بعسر ، فيذكر الحادثة دون أسماء أصحابها ، فيقول :

**ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ؟ . . .** (ويذكر ما قالوه) ، ثم يقول : ولكني أصلي وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني<sup>(3)</sup> .  
فالنبي - صلى الله عليه وسلم - حفظ ماء وجوه أصحابه الثلاثة ، ونبه الآخرين إلى وجوب اتباع سنته - صلى الله عليه وسلم - .

- وأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحد أصحابه يجمع الزكاة من بعض القبائل ، فعاد الرجل بالزكاة فوضعها أمام النبي - صلى الله عليه وسلم - وترك أشياء معه ، وقال : إنها أهديت إليه . فأخذها الرسول - صلى الله عليه وسلم - منه ، وجمع أصحابه ونبههم إلى ضرورة البعد عن الرشا واستغلال المنصب للوصول إلى منافع ما كان يصل إليها لولا عمله هذا .

فعن أبي حميد الساعدي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :  
( ما بال العامل نبهته فيقول : هذا لك ، وهذا لي ؟ فهذا جلس في بيت أبيه وأمه ، فينظرَ أيهدى له أم لا ؟ والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبتة ، إن كان بغيراً له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ، ، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه ، ألا هل بلغت ؟ ثلاثاً<sup>(4)</sup> .

فأنت ترى استخدام تعبير ( ما بال العامل ) ، وفي الحديث السابق ( ما بال أقوام ) . . .  
فليست العبرة بمعرفة الأشخاص ، إنما بمعرفة الحادثة ، والتنبيه لها ، والحذر من الوقوع فيها .  
ورحم الله الإمام الشافعي العالم الإمام والتربويّ الفذّ ينبه إلى النصيحة بطريقة لبقة لا تجرح المشار إليه فيقول :

(1) تقالوها : عدوها قليلة .

(2) في رياض الصالحين ، الحديث / 643 .

(3) متفق عليه ، والرجال الثلاثة هم : علي بن أبي طالب ، عثمان بن مظعون ، وعبد الله بن عمرو بن العاص .

(4) رواه الشيخان .

تَغَمَدَنِي النَّصِيحَةَ بِأَنْفِرَادٍ      وَجَنَّبَنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ  
فَإِنَّ النَّصِيحَةَ بَيْنَ النَّاسِ ضَرْبٌ      مِنْ التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ

## الدعاء (16)

الدعاء لغة : الرغبة والابتهاال ورجاء الخير .  
عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال :  
( . . . . . ) ثم صلى بنا ، ثم دعا لنا - أهل البيت - بكل خير من خير الدنيا والآخرة .  
فقال أمي : يا رسول الله ، خُويدمك ، ادع الله له . فدعا لي بكل خير . . . . . وكان في آخر دعائه أن قال :  
اللهم أكثر ماله وولده ، وبارك له ))<sup>(1)</sup> .  
فيجمل بالداعية أن يدعو لإخوانه ، ويرجو لهم الخير . . . وليكن دعاؤه سراً وجهاً . . أما سراً : فلأنه أقرب للصدق ، وأبعد عن حظ النفس ، والداعية لا يبغى من دعائه للآخرين التقرب إليهم فقط ، إنما يريد أن يرضى الله عنهم حقاً ويجتهد في ذلك .  
وأما جهراً : فليبيّن لهم إنه يحبهم فتتألف القلوب ، وتتوحد الصلة .  
وفي هذا الحديث نجد النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعو لأهل بيت أنس - رضي الله عنه - دون أن يطلبوا ذلك ، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - دعاؤه سكن للمسلمين ، وخير وبركة ، وهذا يسرهم ويزيدهم تعلقاً به ، وإيماناً بدعوته ، واستزادة من دعائه ،  
ونرى ( أم أنس ) تسأل النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يخص أنساً بالدعاء ، فيفعل ، ويدعو له بالبركة في العمر والمال .  
ويظهر أثر ذلك الدعاء الكريم ، فقد عاش أنس - رضي الله عنه - فوق المئة ، ورأى أكثر من ثمانين من أحفاده ، وكان له بستان يثمر في السنة مرتين . . كل هذا ببركة دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - .  
ولئن كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعو لمن يزورهم ، لقد تعلم من ربه - سبحانه - ذلك :  
فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (( إذا عاد الرجل أخاه أو زاره قال الله تعالى : طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت منزلاً في الجنة ))<sup>(2)</sup> .  
ويعلمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن نكرم من نطعم عنده بالدعاء والصلاة في بيته ، وكأنك تقول لمن دعاك : أحسنت إلى ضيفانك ، وأكرمتهم ، فجعل الله بيتك طاهراً ، وحياتك طاهرة ، والملائكة زوارك ، وأبعد عنك السوء ، ووقاك الشياطين وأذاهم .  
فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زار أهل بيت من الأنصار ، فطعم عندهم طعاماً ، فلما خرج ، أمر بمكان من البيت ، فنضح له على بساط فصلى عليه ، ودعا لهم<sup>(3)</sup> .  
ولو جاءك رجل لا تعرفه يعودك - وأنت مريض لا سمح الله - مع أخ لك عزيز ، وكلمك بأدب ، ولم يطل الجلوس عندك ، ولما قام مودعاً جلس قريباً منك ، ثم دعا الله أن يشفيك ويرد عافيتك ، ثم ابتسم وسلم ومضى ، أكنت تعجب لصنيعه ؟ ويكبر في عينك ؟ وتشكر له ما فعل ؟  
لا شك في ذلك ، وأراك تسأل صاحبك عنه ، تريد أن تتعرف إليه ، هذا ما كان يفعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .  
فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ عاد مريضاً جلس عند رأسه ثم قال - سبع مرات - (( أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ))<sup>(4)</sup> .

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد الحديث / 88 / .

(2) رواه الترمذي ، وابن ماجه ، وأحمد ، وابن حبان ، والبخاري في الأدب المفرد الحديث / 345 / .

(3) أخرج البخاري في صحيحه (( كتاب الأدب )) ، وفي الأدب المفرد الحديث / 347 / .

(4) الأدب المفرد الحديث / 536 / .

دعاء مبارك من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النبي العطوف المحب لأمته ، هاديهم إلى الجنة ، وذابهم عن النار ، يجلس عند رأس المريض ، قريباً إلى قلبه ، يسأل رب العرش العظيم وفاطر السموات والأرض الرحيم بعباده ، أن يشفيه .

دعاء من كريم إلى كريم !! . . . وتفتح السماء أبوابها . . . وتحمل الملائكة الدعاء . . . وتعود بالشفاء . . . الشفاء لجسم المريض من العلة ، والشفاء لقلبه من أدران الدنيا . . .  
ويكبر النبي المعلم الأول في عيون أصحابه . . . وهو كبير كبير . . . وتتفتح قلوبهم لشرعته السمحاء ولصاحبها معلم الناس الخير .

وهذا فضالة بن عمير الليثي أراد قتل النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه ، قال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : أفضالة ؟  
قال : نعم فضالة يا رسول الله .

قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ ( وكان الله تعالى قد أطلع نبيه على دخيلته ) .  
قال : لا شيء . . . كنت أذكر الله . ( كذب ليدياري انفعاله من المفاجأة ) .  
فضحك النبي - صلى الله عليه وسلم - ( ولم يفضحه لأنه يريد مسلماً ) ثم قال : استغفر الله . ثم وضع يده على صدره فسكن . ( يد رسول الله الشريفة الطاهرة تعكس زاوية الحقد في قلب فضالة مئة وثمانين درجة إلى الحب والإكبار ، ويدعو له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالهداية ) .  
قال فضالة : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله أحب إلي منه - صلى الله عليه وسلم - .  
ومع تغيير القلب من الحقد والبغضاء إلى الحب والإجلال ، تتغير الأفعال من الشر إلى الخير ، ومن الزنا إلى الطهر والعفاف : ألم يدع رسول الله له ؟ ؟ ألم يضع يده الشريفة على صدره فسكن ؟ ؟ .  
قال فضالة : فرجعت إلى أهلي ، فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها ،

فقلت : هلم إلى الحديث . ( وأي حديث بين رجل وامرأة كل منهما غريب عن الآخر ؟! . . )  
فقلت : لا . . . ( قالها وهو يشعر بالإيمان يغمره ، والضياء يعمره ، فقد انقلب إنساناً آخر ، إنساناً مؤمناً يبعد عن الزنا بُعد السماء عن الأرض ) ، فما له - بعد لقائه بالحبيب - أرب بالفساد ، وما عاد يُسيغُه .  
وانبعث فضالة يقول ( معلناً حلاوة الإيمان ) :

**قالت : هلم إلى الحديث فقلت : لا**

**يأبى عليك الله والإسلام**

**لو ما رأيت محمداً وقبيله**

**بالفتح يوم تكسر الأصنام**

**لرأيت دين الله أضحي بيناً**

**والشرك يعلو وجهه الإظلام (5)**

- وكان - صلى الله عليه وسلم - يأمر أصحابه أن يدعوا بعضهم لبعض ، فما بينهم وبين الله حجاب ، فعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : إني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (( إن خير التابعين رجل يقال له أُويس ، وله والدة ، كان به بياض ( أي برص ) فمروه فليستغفر لكم )) (6) .  
وكان الرجل من اليمن . . . وكلما جاء وفد من اليمن - في خلافة الفاروق - سأل أمير المؤمنين عمر عن أُويس ، حتى رآه ، ورأى فيه الصفات التي ذكرها فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فأعلمه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكره ووصفه وأمره أن يدعو للمسلمين . . .  
ويدعو أُويس لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وللمسلمين . . .

(5) مختصر سيرة ابن هشام : لعفيف الزعبي ، وعبد الحميد الأحمد ص/ 235 .

(6) من رياض الصالحين ، رواه مسلم الحديث / 370 .

وأنا - الفقير إلى رحمة الله وعفوه - أرجو أن يدعو كل لأخيه وللمسلمين . .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه  
وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه  
اللهم انصر الإسلام والمسلمين  
واعز كلمة الحق والدين  
خذ بنواصينا إلى الحق  
وعوّذ ألسنتنا قول الصدق  
إليك لجأنا فلا تردنا خائبين  
يا أرحم الراحمين

## تكرار الحديث والتمهّل فيه (17)

من الطرائق التي اعتمدها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عدد وافر من أحاديثه الشريفة (التكرار) . . فلم كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكرر ؟ .

1- لم يكن على عهده - صلى الله عليه وسلم - . كما نعلم - آلات تحفظ الصوت لتعيده فيما بعد ، كما أن أدوات الكتابة - من ورق ومداد وأقلام . . . كانت بدائية ، وكان المسلمون يكتبون على سعف النخل والأكتاف ، والعظام والأحجار المسطحة ، وجلود الأغنام والأبقار الرقيقة ، وما شابه ذلك ، وحمل هذه الأشياء إلى المسجد متعثر نوعاً ما .  
2- ولم يكن هنالك مجلس محدد يعلم فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - المسلمين أمور دينهم ، فقد كانت كل كلمة منه ، بل كل حركة وكل إقرار . . على مدى اليوم والمكان علماً ودرساً وتربية وتهذيباً .  
3- والعرب أمة لا يقرأون ولا يكتبون - فعامتهم هكذا - فكيف يحفظون عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمور آخرتهم وديانهم ومعاشهم ؟ . . .

تروي السيدة عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يحدث حديثاً لو عدّه العادّ لأحصاه<sup>(1)</sup> .  
وعنها أيضاً : أنه - صلى الله عليه وسلم - (( لم يكن يسرد الحديث كسرديكم ))<sup>(2)</sup> .

تصور معي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالساً بين أصحابه ، يحدثهم في أمر ما ،  
1- جُمَلُهُ فصيحة ،

2- لا يسرع في كلامه ،

3- يلفظ الكلمة فيتوقف عندها ،

4- يكرر التعبير فقرة فقرة ، وجملة جملة ، وكلمة كلمة ،

5- يستعمل المبسوط في موضع البسط ، والإيجاز في موضع الإيجاز .

6- وقد يستعمل حركة يديه ، أو إيماءة من رأسه ،

7- يوزع نظراته ، ويتابع وجوه القوم ليستقروا فهمهم ، ويستجلي تأثيرهم ،

8- ويناقشهم ويوجب عن أسئلتهم .

وبهذا الأسلوب الواضح المستأنى ، وبهذا التكرار المفيد ، يستوعب الصحابة الحديث فيحفظونه ، وتثبت ألفاظه ومعانيه في العقل ، وتنغرس الأفكار وظلالها ، والألفاظ وإيحاءاتها في النفوس ، ويتمثلون حديث رسول الله عملاً وتطبيقاً في مجال حياتهم ، ثم تصل إلينا نقية ، لا شائبة فيها ، حية بحيوية حاملها .  
من الأحاديث التي ترى فيها مصداق ما ذكرته سابقاً :

ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - :

قال : رَغِمَ أَنْفُهُ ، رَغِمَ أَنْفُهُ ، رَغِمَ أَنْفُهُ .

قالوا : يا رسول الله من ؟

قال : من أدرك والديه عند الكبر - أو أحدهما - فدخل النار<sup>(3)</sup> .

أية قشعريرة أخذتني وأنا أقرأ هذا الحديث فأفاجأ بقوله - صلى الله عليه وسلم - ( رَغِمَ أَنْفُهُ ) تتكرر ثلاث مرات ، وأنا بعيد عن زمان الحديث ألفاً وأربع مئة وإحدى وثلاثين سنة ، فمادت بي الأرض وأسرعت إلى الوالدة أقبل يديها ورجليها وأسألها الرضا والدعاء . .

أحسست بها على الرغم من البعد الزمني والمكاني كذلك ، لكن الروح والقلب والفكر هناك مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكيف والصحابة بين يديه يسمعون ويرون تعابير وجهه توحى بالتهديد والوعيد لمن عق والديه؟!  
ومن التكرار الرائع ذوي الوتيرة الموسيقية والتفصيل الهادف ما رواه المقدم بن معدي كرب أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :

1- ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة ،

(1) رواه البخاري في صحيحه (كتاب المناقب) .

(2) والحديث رواه البخاري في صحيحه ، (كتاب المناقب) .

(3) الأدب المفرد الحديث .

2- وما أطعمت ولدك فلهو لك صدقة ،

3- وما أطعمت زوجك فلهو لك صدقة ،

4- وما أطعمت خادمك فلهو لك صدقة<sup>(4)</sup> .

فتكرار : ( ما أطعمت ) يوحي بالحث على الإنفاق ، وذكر النفس والولد والزوجة والخادم يؤكد ضرورة الحفاظ على الأسرة . وتكرار ( فهو لك صدقة ) دليل على إحراز قصب السبق لمن فعل ذلك .

والفكرة نفسها نجدها في قالب آخر من التكرار في ما رواه عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : حدثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته ،

والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسؤول عن رعيته ، وعبد الرجل راع وهو مسؤول عن رعيته ، ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته<sup>(5)</sup> .

والملاحظ هنا أنه - صلى الله عليه وسلم - ذكر أهم ركن في البيت (الرجل) ، وأقل ركن فيه (الخادم) ، وهذا يعني أنه يقصد ما بينهما من زوجة وولد .

وانظر معي إلى التأكيد على الإيمان بالله وعدم الاعتماد على النسب والمال ، ولئن كانت الدنيا بالمال ، إن الآخرة بالأعمال فقط ، إلا أن تتقذ رحمةُ الله بعباده الموقفَ المخيف . . والله رحيم بعباده .

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أنزل عليه :  
( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ )<sup>(6)</sup> .

(( يا معشر قريش : اشتروا أنفسكم من الله ، لا أغني عنكم من الله شيئاً .

يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله ، لا أغني عنكم من الله شيئاً .

يا عباس بن عبد المطلب اشتري نفسك من الله ، لا أغني عنك من الله شيئاً .

يا صفية عمه رسول الله اشترى نفسك من الله ، لا أغني عنك من الله شيئاً .

يا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً ))<sup>(7)</sup> .

وتأمل معي كلمة (تعس) في الحديث التالي كم هي مخيفة تفرع الأذان ، وتهز النفس والمشاعر :  
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

تعس عبد الدنيا

تعس عبد الدينار

تعس عبد الخميصة<sup>(8)</sup>

تعس عبد الخميصة<sup>(9)</sup>

إن أعطي رضي ، وإن لم يُعط سخط

تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش<sup>(10)</sup> .

إنها جمل فعلية ذات أسلوب خبري ، لكن الغرض البلاغي منها الدعاء بالتعاسة والخسران على هؤلاء الذين اتبعوا شهواتهم . ويديّلها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالتعليق العميق الأثر في نفوس المسلمين ، فهو يدعو عليهم بالتعاسة والانتكاس في كل ما يفعلون ، حتى إذا أصابت أحدهم شوكةٌ صغيرة فلا خرجت من جسده ، فكأنه يدعو عليهم بالألم الدائم ، والإرهاق لرضاهم بالحياة الدنيا دون الآخرة .

(4) الأدب المفرد الحديث / 82 / .

(5) الأدب المفرد ، الحديث / 206 / .

(6) سورة الشعراء : الآية / 214 / .

(7) رواه مسلم .

(8) الخميصة : الثوب المزركش الجميل ، والمقصود بذلك : المهتم بثيابه المختال بها على عباد الله .

(9) الخميصة : الشجر المجتمع الكثير الملتف ، الذي لا يرى فيه الشيء إذا وقع في وسطه . والمقصود به : الرجل المهتم برغد العيش

وبحبوحته على الإهتمام بدينه .

(10) رواه البخاري .

وقد نجح التكرار من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لجلب الانتباه لما يقال ، والتكرار من الصحابي للإعراب عن انتباهه لما يقوله - صلى الله عليه وسلم - ، ومن صورته ما رواه أنس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - (ومعاذ رديفه على الرحل)

قال : يا معاذ .

قال : لبيك يا رسول الله وسعديك .

قال : يا معاذ .

قال : لبيك يا رسول الله وسعديك .

قال : يا معاذ .

قال : لبيك يا رسول الله وسعديك . . . إلى آخر الحديث<sup>(11)</sup> .

وقد نرى الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - يكرر الجملة ثلاث مرات . وهذا نجده في أحاديثه الشريفة كثيراً . ومن صورته : ما رواه ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : **هالك المتنتعون** ، قالها ثلاثاً<sup>(12)</sup> .

وقد نجده - صلى الله عليه وسلم - يردد الكلمة دون تحديد عدد ، لبيان أهميتها ، فعن أبي بكر - رضي الله عنه - قال :

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ (ثلاثاً)**

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : **الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين . وجلس وكان متكئاً : ألا وقول الزور ، فما زال يكررها حتى قلت : ليته سكت**<sup>(13)</sup> .

فقد كرر رسول الله : (قول الزور) كثيراً حتى ضج بعض الصحابة ، ورجوا أن يسكت لما نالهم من خوف شديد لتهديده - صلى الله عليه وسلم - قائل الزور ، وخوف شديد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يناله الأسى . فجزاه الله عن أمته كل خير .

(11) رياض الصالحين ، الحديث / 413 / متفق عليه .

(12) المتنتعون : المغالون ، المتجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم . والحديث رواه مسلم .

(13) الأدب المفرد ، الحديث / 15 / .



## تحديد العدد (18)

وهذا يساعد على الانتباه والاستقصاء والمتابعة .

إن الإنسان حين يسمع محاضرة يحدد فيها صاحبها - منذ البداية - أفكارها ، ويستعرض مخططها ، يكون أقدر على الانتباه لها ، وتقدير الطرائق التي اعتمدها المحاضر ، وتركيز ذهنه وحواسه في استقصاء أفكارها ، اعتماداً على ما ذكره المحاضر أول ما بدأ ، ومتابعة تفاصيلها وتسلسلها الزمني ، ويصبح بإمكانه أن يسأل المحاضر شيئاً نسيه أو مر عليه سريعاً ، أو لم يعالجه المعالجة التي عالج بها بقية الأفكار .  
وإنه يستحسن للقائد أن يحدد الزمان والمكان لجنوده قبل البدء بعمليتهم القتالية ، والزمن الذي تستغرقه ، والهدف الذي يسعون إلى تحقيقه .

وإن الرسام ليضع أولاً الإطار الذي يحيط بلوحته ، والمهندس خريطة لموقعه ، والمدرس مخططاً - على اللوح - لدرسه يسترشد به التلاميذ في متابعة درسه ، مع ذكر القاعدة والأهداف بشكل مرتب متسلسل .  
- وهذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفعل ذلك ، فيضع المسلمين في إطار العدد المراد تحديده . ففي الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - يقول : ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة <sup>(1)</sup> ( حدد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة أنواع من المنبوذين يوم القيامة ، فأصاخ أصحابه السمع ، ورسوموا الإطار ، وانتظروا البدء ) :  
العاق لوالديه ، والمرأة المترجلة ، الديوث ، ( فأغلقوا الإطار على العدد وأصحابه وسبب العقوبة )  
- وثلاثة لا يدخلون الجنة : ( مقدمة أخرى لعدد آخر من نوع آخر ، فرسموا الإطار واستعدوا ) العاق لوالديه ، والمدمن الخمر ، المئان بما أعطى <sup>(2)</sup> ( فأغلقوا الإطار على العدد وأصحابه وسبب العقوبة )  
ثم تناولوا الحديث بالبحث والدراسة ، وكان العدد مساعداً للمسلمين على الاحتفاظ بالأفكار ليوصلوها إلى إخوانهم على مر العصور مرتبة حسبما وردت ، لا زيادة فيها ولا نقصان ، ولا تقديم ولا تأخير .  
- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

ثلاثة : 1- لا يكلمهم الله يوم القيامة

2- ولا يذكهم

3- ( قال معاوية ) : ولا ينظر إليهم

4- ولهم عذاب أليم <sup>(3)</sup>

( من هؤلاء الثلاثة ؟ وما الذي سبب لهم هذه العقوبة في المقدمة السابقة ؟ ) .

1- شيخ زان ( وكان أولى به الوقار والعفاف ، فقد جاز مرحلة الشباب والطيش )

2- ومالك كذاب ( ولماذا يكذب ولن تطاله يد أحد بالعقوبة وهو القدوة والحاكم )

3- وعائل مستكبر <sup>(4)</sup> ( وعلام يستكبر وهو فقير يحتاج مساعدة الناس ؟ )

فاستقصى الصحابة الكرام هؤلاء الأنواع الثلاثة ، والمقدمة التي وضحت أنواع العقوبة ليتدارسوها ويحددوا مسار حياتهم من خلالها .

- وعنه - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

ثلاث دعوات مستجابات :

1- دعوة المظلوم ( فليس بينها وبين الله حجاب )

2- ودعوة المسافر ( اتخذ الله رفيقاً واعتمد عليه في سلامة الوصول )

3- ودعوة الوالد على ولده <sup>(5)</sup> ( إن ير الولد بوالده أولى به ، فقد بذل عمره وعمله للولد ) .

حفظها السامعون ، وتجنبوا الوقوع فيها ، ووعظوا الغائبين ، وكانت مصابيح للخلف يسيرون على هديها .

- وعنه - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :

(1) كناية عن عدم الرحمة .

(2) أخرجه النسائي في الزكاة .

(3) كناية عن الإمتحان والتحقير .

(4) رواه مسلم .

(5) الأدب المفرد الحديث .

سبعة يظلهم الله في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله : ( في الآخرة حر شديد ، والشمس تدنو من الخلائق - يا الله - أليس هناك مكان نتقي فيه ذلك الموقف يا سيدي يا رسول الله ؟ . . نعم إنه ظل عرش الرحمن - سبحانه - إلا إنه مخصص لسبع فئات من الناس . . اللهم اجعلنا منهم ، فمن هم يا رسول الله ؟ . . )

- 1- إمام عادل .
  - 2- وشاب نشأ في عبادة الله عزَّ وجلَّ .
  - 3- ورجل قلبه تعلق بالمسجد .
  - 4- ورجلان تحابَّتا في الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه .
  - 5- ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخاف الله .
  - 6- ورجل تصدق بصدقة ، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه .
  - 7- ورجل ذكر الله خالياً ، ففاضت عيناه<sup>(6)</sup> .
- يستقصي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هؤلاء السبعة ، ويكرر ذلك على مسامع الصحابة فيحفظون أصنافهم ، ويتخلقون بأخلاقهم :

- 1- فالإمام العادل يحكم بشرع الله ، ولا يعمل بهواه ، ولا يستغل منصبه للوصول إلى شهواته وإلى ما ليس من حقه ، ويحب الناس ويعدل بينهم ، فيفيئون إليه ملتجئين حقه من رحمته وعدله .
  - 2- والشاب المتدقق حيوية ، تتفتح أمامه دروب الغواية وسبل الفساد تدعوه إلى الانحراف ، ومتابعة الشيطان ، وهو معرض عنها ، متعلق بحبل الله المتين ، يستنصره عليها ، ويستدفع به شرورها .
  - 3- والرجل الذي يُكثر من دخول المساجد للصلاة ، والانتفاع بقراءة القرآن ، وحضور حلقات العلم والمذاكرة ، ويرى جنته فيها ، وهناءته في رحابها .
  - 4- ورجلان كان حب الله الرابطَ بينهما ، إن اجتمعا فعلى الذكر والتدبر ، وإن تفرقا فعلى الألفة والتواصي بالحق ، يحفظ كل منهما غيبة الآخر ، ويكون عوناً له على ظروف الدهر ، لا يبتغي كل منهما غير رضا الله ثواباً .
  - 5- ورجل وسيم أحبته امرأة ذات منصب وجمال ، فأغرته بنفسها ، وسهلت له طريق الزنا ، ومنحته الجاه والمال إن ارتكبه ، وسولت له بأحبابيها ما تريد منه ، فظل متمسكاً بحبل الله المتين ، يعرض عنها ، وإن أصابه من امتناعه مكروه .
  - 6- ورجل يتصدق سراً - فالمرأة تحبب عمله ، وتضيع أجره .. ويكبت في نفسه حب الاستشراف والرغبة في أن يقال : هو كريم ، إنه لا يبغى الأجر إلا من الله عزَّ وجلَّ .
  - 7- ورجل ذكر الله - وهو في أهنأ عيش وأطيب حياة ، لا ينغص عليه أحد أيامه ، فهو يشكر الله على فضله ، ويحمده على كرمه ، ويشتاق إلى جنته ، ويعلم أن ما أصابه كان برحمة الله وجوده ، فيجتهد في العبادة ، ويبكي شوقاً إلى لقاء الله تعالى ، فما عند الله خير وأبقى .
- اللهم علمنا ما ينفعنا ، وهيء لنا من أمرنا رشداً ، واجعلنا من عبادك السعداء ، وأظننا تحت ظلك يوم لا ظل إلا ظلك .

(6) رياض الصالحين الحديث / 374 / متفق عليه .

## السؤال (19)

يدخل أحدنا على أهله أو أصحابه ، وكان قد رأى لتوه حادثاً في الشارع ، فيسألهم : أتدرون ماذا رأيت قبل قليل ؟ فهل - هو - في سؤاله هذا يريد إجابتهم ؟ إنه لا يريد ذلك ، فهو متأكد أنهم لم يروا شيئاً . فلماذا يسألهم إذا إذن ؟

إنه يريد أن يحوز اهتمامهم ، ويستجمع انتباههم ، فلا يفوتهم شيء من الحديث بيده .  
هذه الطريقة في تجميع الذهن وتهئية النفس للاستقبال نجدها كثيراً في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :-

- فعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال : كنت رديف النبي - صلى الله عليه وسلم - على حمار فقال لي : يا معاذ ، أتدري ما حق الله على عباده ؟ وما حق العباد على الله ؟

قلت : الله ورسوله أعلم .  
قال : حق الله على العباد : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله : أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً .  
قلت : يا رسول الله ، أفلا أبشر الناس ؟

قال : لا تبشروهم فيتوكلوا<sup>(1)</sup> .  
- وعن أبي بكر - رضي الله عنه - قال :

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ثلاثاً ( أي طرح هذا السؤال ثلاث مرات ليعلموا عن رغبتهم في ذلك ، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - بينهم فليغتنموا الفرصة وليتعلموا ) .  
قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : الإشراف بالله ، وعقوق الوالدين ، ( وجلس وكان متكئاً ) ألا وقول الزور ( وما زال يكررها حتى قلت : ليته سكت )<sup>(2)</sup> .

- وعن زيد بن خالد - رضي الله عنه - قال : صلى بنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاة الصبح في الحديبية على أثر سماء<sup>(3)</sup> كانت من الليل .

فلما انصرف ( انتهى من صلاته ) أقبل على الناس ( طارحاً سؤالاً لينتبهوا )  
قال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .  
قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر :<sup>(4)</sup>

فأما من قال : مُطِرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب ، وأما من قال : مُطِرنا بنوء<sup>(5)</sup> كذا وكذا فذلك كافر بي ، مؤمن بالكواكب<sup>(6)</sup> .

لقد أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يعمق إيمان المسلمين بربهم ، وأن يوجهه الوجهة الصحيحة ، فيسند الأمر كله لله ، وكان المعنى كله مجموعاً في الجملتين الأخيرتين ، ولكنه - صلى الله عليه وسلم - سألهم ليستجمعوا شتات أفكارهم ، ولينصتوا إليه - صلى الله عليه وسلم - حتى لا تضيع كلمة واحدة مما يقول ، فلما أجابوه مسلمين إلى الله ورسوله أمور الغيب ، ذكر ما ذكر ، ليعلموا أنه ما من حركة ولا سكونة إلا بأمر الله - سبحانه وتعالى - .

- وأراد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يصف المؤمن فيأتم به الناس ، وأن يصف الشرير فيبتعدوا عن محاكاته ، فجاءهم بصيغة السؤال :

فعن أسماء بنت يزيد قالت :

(1) متفق عليه .

(2) ليته سكت : كناية عن أن الخوف من نتائج قول الزور مَلَك قلب أبي بكر . والحديث من الأدب المفرد رقم / 15 .

(3) على أثر سماء : أي بعد نزول الغيث .

(4) الناس قسمان : مؤمن بالله وكافر به .

(5) نوء النجوم : قيل : سقوطها ، وقيل : طلوعها ونهوضها .

(6) رواه مسلم .

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ألا أخبركم بخياركم ؟

قالوا : بلى .

قال : الذين إذا رؤوا ذكر الله .

أفلا أخبركم بشراركم ؟

قالوا : بلى .

قال : المشاءون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبراء العنت (7) .

إن رؤية المؤمن الخير والنور يطفح من وجهه ، والإيمان يزيده بهاء ، تذكر بالله سبحانه ، وإن رؤية الفاسد الشرير ، النمام المفسد المؤذي ، تجعل الناس يستعيذون من شره ، فوجهه أسود ، وعيناه عينا شيطان .

- وقد يكون السؤال حقيقياً يقصد به النبي - صلى الله عليه وسلم - مشاركة أصحابه له في الفكرة ، أو شحذ أفكارهم لتكون أكثر استعداداً لتلقي المعاني التي يوردها النبي - صلى الله عليه وسلم - .

فعن ابن عمر - رضي الله عليهما - قال :

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أخبروني بشجرة مثل المسلم ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، لا تحترق

ورقها ؟

فوقع في نفسي النخلة ، فكرهت أن أتكلم ، وثمَّ ( هنالك ) أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - فلم يتكلما ، قال النبي -

صلى الله عليه وسلم - : هي النخلة .

فلما خرجت مع أبي قلت : يا أبت ، وقع في نفسي النخلة .

قال : ما منعك أن تقولها ؟ لو كنت قلتها كان أحب إليّ من كذا وكذا .

قال ( عبد الله ) : ما منعتني إلا أنني لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما ، فكرهت (8) .

- ومن ذلك ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : من أصبح اليوم

منكم صائماً ؟

قال أبو بكر : أنا .

قال : من عاد منكم اليوم مريضاً ؟

قال أبو بكر : أنا .

قال : من أطعم اليوم مسكيناً ؟

قال أبو بكر : أنا .

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ما اجتمعت هذه الخصال في رجل في يوم إلا دخل الجنة (9) .

فقد لاحظنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يطرح صفات المؤمن التي تؤهله دخول الجنة بطريقة السؤال ،

ليقارن السامع نفسه بما فعل الآخرون ، فيشجع على منافستهم .

إن السؤال أسلوب من أساليب التربية التي تشد انتباه السامع ويدعوه إلى التفكير والتدبر واستكناه الفكرة بقدر زناد

التفكير والمشاركة .

(7) الأدب المفرد الحديث / 223 / .

(8) الأدب المفرد الحديث / 360 / .

(9) الأدب المفرد الحديث / 515 / .

## القسم ( 20 )

إنه من أشد أنواع التأكيد<sup>(1)</sup> ، فالمسلم يقسم بخالق الكون وبارئ النسم أن ما يقوله أو يقرره صدق لا جدال فيه ، سواء أكان ذلك سلباً أم إيجاباً .

والقسم طريقة من طرائق الإقتناع والوصول إلى إرضاء المخاطب والدخول إلى نفسه ، وجلاء الشك فيه . وقد سلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذه الطريقة لإقناع المسلمين ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (( . . . والذي نفسي بيده ، لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب ، ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم أمر رجلاً فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم<sup>(2)</sup> . . . )) فالرسول الكريم يوضح مكانة صلاة الجماعة ، وينعى على الذين يهملونها كسلاً ، ويؤكد أنه همّ عدة مرات أن يعاقبهم ، فأقسم بالله سبحانه وتعالى - وهو الصاق الصدوق الذي لا يحتاج إلى القسم - أنه كاد يعاقبهم على تخلفهم عن صلاة الجماعة .

وأقسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القسم نفسه على شدة هول يوم القيامة ، وما أعد الله للكافرين من العذاب ، وذكر أن الناس غافلون عنه ، فقد روى أبو هريرة - رضي الله عنه - قال :

خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - على رهط من أصحابه يضحكون ويتحدثون ، فقال : والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، ثم انصرف وقد أبكى القوم<sup>(3)</sup> .

وفي معرض وجوب اتباع سنته والسير على منهجه - صلى الله عليه وسلم - ينهي عن التمتع في الدين ، لأنه يسر . تروي عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ما بال أقوام ينتزهون عن الشيء أصنعه ؟ ! . . . فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدّهم له خشية<sup>(4)</sup> .

فقد أقسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه أعرف الناس بالله تعالى ، وخشيته لله سبحانه إنما تأتي من معرفته الحقّة له ، ويعرفه من بعده العلماء العاملون ( **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** )<sup>(5)</sup> . ولا ينبغي لمؤمن بالله ، مسلم متبع للرسول - صلى الله عليه وسلم - إلا أن يكون مثله في عبادته .

وحين يرى عامله يأتي بالزكاة ويقطع لنفسه شيئاً يزعم أنه أهدي إليه ، يوبخه - صلى الله عليه وسلم - ثم يعلو المنبر موضحاً أن ما يأخذه العامل غير أجره إنما هو رشوة يحاسب عليها يوم القيامة ، ويقسم على ذلك لتأكيد هول الموقف وخطورة أخذ الرشوة .

يروى أبو حميد الساعدي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : . . . . . والذي نفسي بيده ، لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ، إن كان بغيراً له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر<sup>(6)</sup> . . . . . وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال :

خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم أو ليلة ، فإذا هو بأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - فقال : ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟

قالا : الجوع يا رسول الله .

قال : والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما<sup>(7)</sup> . . . . . ( والحديث طويل )

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - يتحجب إليهما ، وأنه خرج لهما خرجاً له ، ويقسم على ذلك . وهكذا نرى أن القسم جاء تأكيداً للمعاناة التي يعانيتها الصحابة من جوع وشظف عيش ، ، وتصويراً لاشترائك الجميع فيها ، دون أن يحتاج صاحبه للقسم عليه .

وكثيراً ما كان العرب يستعملون القسم لا لكبير حاجة ، إنما هو أسلوب من أساليبهم .

(1) لا يحل لمسلم أن يقسم إلا بالله .

(2) رياض الصالحين ، باب فضل صلاة الجماعة ( متفق عليه ) .

(3) الأدب المفرد الحديث / 254 / .

(4) متفق عليه .

(5) سورة فاطر : الآية 28 .

(6) رواه الشيخان .

(7) من رياض الصالحين الحديث / 495 / .

ومن بديع أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الجامعة : الحديث الذي صدره بالقسم ليشد الانتباه إليه والتفكير فيه ، مع استحضار اليقين . ثم يصورُ أربعة أنواع من الناس ، تجمع كل اثنين منهم النية ، لأنها مفتاح الجنة أو النار : فعن أبي كبشة عمر بن سعد الأنماري - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (( ثلاثة ( أقسم عليهن ) وأحدثكم حديثاً فاحفظوه :

- ما نقص مال عبد من صدقة .

- ولا ظَلِمَ عبدٌ مظلمة صير عليها إلا زاده الله عزاً .

- ولا فتح عبدٌ باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر ، ( أو كلمة نحوها ) ، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه عني : " إنما

الدنيا لأربعة نفرٍ :

1- عبدٌ رزقه الله مالاً وعلماً ، فهو يتقي فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم الله فيه حقاً ، فهذا بأفضل المنازل .

2- وعبدٌ رزقه الله علماً ، ولم يرزقه مالاً ، فهو صادق النية ، يقول : لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان ، فهو بنيته ، فأجرهما سواء .

3- وعبدٌ رزقه الله مالاً ، ولم يرزقه علماً ، فهو يخبط في ماله بغير علم ، ولا يتقي فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم الله فيه حقاً ، فهو بأخبث المنازل .

4- وعبدٌ لم يرزقه الله مالاً ولا علماً ، فهو يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو نيته ، فوزرهما سواء<sup>(8)</sup> .

(8) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

## الجمل الموسيقية (21)

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أفضل من نطق الضاد ، فحين أوتي القرآن الكريم أوتي الحديث ليشرحه ويوضح متشابهه ويفصل مجمله . فكانت ألفاظه ومعانيه مشرقة أيما إشراق ، بليغة قمة البلاغة . وقراءة في ( البيان والتبيين ) للجاحظ<sup>(1)</sup> ، نرى جمال العبارة في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وقوة المعنى ، ولا غرؤ في ذلك ، فالذي نزل عليه القرآن علمه وأدبه ، قال تعالى : ( لَتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ )<sup>(2)</sup> .

يقول الجاحظ في وصف أسلوب الحبيب المصطفى خير من نطق بالضاد : ( فكيف وقد عاب التشديق ، وجانب أصحاب التعقيب ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة ، وشيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق ، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حُسن الإفهام وقلة عدد الكلام ، مع استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفرح خطيب ، بل يبذل الخطب الطوال بالكلام القصار ، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ، ولا يطلب الفلج ( الفوز ) إلا بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ، ولا يستعمل المواردية ، ولا يهمز ولا يلمز ، ولا يبطن ولا يعجل ، ولا يسهب ولا يحصر ، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أقصد لفظاً ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقفاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح معنىً ولا أبين في فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيراً ) .

**ملاحظة :** قصدت فقط الجمل الأخيرة مما نقلت عن الجاحظ ، وما سردت صفة كلام النبي صلى الله عليه وسلم كله إلا للتبرك بمعرفة روعة أسلوبه - صلى الله عليه وسلم - ليس غير .

فبالإضافة إلى المعنى الدال على أن اللغة العربية واضحة بيّنة ، معروفة بالبلاغة والبيان ، هناك معنى لطيف : إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان فصيح اللسان ، بين النطق ، واضح العبارة . وكانت قراءته للقرآن على المشتركين تذللهم ، وقصة الأخنس بن شريق ، وأبي سفيان بن حرب ، وأبي جهل بن هشام ، الذين سحرهم القرآن بلسان الرسول الكريم دالة على تأثيره فيهم ، لذلك روى القرآن عنهم موضحاً مكرهم : قال الله تعالى : ( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ )<sup>(3)</sup> .

والمقصود في هذه الآية عدم سماعهم للقرآن من منبعه البليغ الأصيل - صلى الله عليه وسلم - ، فهم لا يرغبون بسماعه ، ويحاولون الصياح في وجهه - صلى الله عليه وسلم - حتى لا يدري ما يقول .

وقد قال مجاهد : ( المعنى والغوا فيه بالمكاء " أي الصفير " والتصفيق والخلط في المنطق حتى يصير لغواً ) ، وقال أبو العالية وابن عباس : ( قعوا فيه وعيَّوه ( لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ) محمداً على قراءته فلا يظهر ولا يستميل القلوب )<sup>(4)</sup> .

وقد وظف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصاحته وبلاغته في خدمة دعوته ، ومن أساليب هذه الفصاحة التي استمال بها القلوب : **الجمل الموسيقية** من حسن في التقسيم ، وسجع ، ومقابلة ، وطباق . . . . . وقد كان العرب يحفظون الشعر - وما أكثره - لموسيقاه ، فاغتمها الرسول الكريم في الوصول إلى عواطفهم وقلوبهم ، ومن ثم إلى عقولهم وأفكارهم .

ومن ذلك ما كتبه المغيرة بن شعبه إلى معاوية بما سمع من رسول الله : إني سمعته ينهى عن : كثرة السؤال ، وإضاعة المال ، وقيل وقال<sup>(5)</sup> .

فأنت ترى معي جمال الموسيقى - في الجمل الثلاثة - الناتجة عن حسن التقسيم ، وعن السجع ( انتهاء الكلام باللام المسبوقة بالألف ) .

(1) الجزء الثاني : ص / 44 / ، طبعة دار الفكر للجميع ، 1968 .

(2) سورة الشعراء : الآية 195 .

(3) سورة فصلت : الآية 26 .

(4) تفسير القرطبي المجلد / 15 / في تفسير الآية السابقة من سورة فصلت : 26 .

(5) الأدب المفرد الحديث / 16 / .

ونلمح أيضاً جمال التقسيم ، والسجع في هذا الحديث الذي رواه أبو أسيد - رضي الله عنه - قال : كنا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال رجل : يا رسول الله ، هل بقي من برِّ أبيي شيء بعد موتهما أبرُّهما ؟ قال : نعم ، خصال أربع : - الدعاء لهما ، والاستغفار لهما ، - وإيقاظ عهدهما ، - وإكرام صديقيهما ، - وصلة الرحم التي لا رَحَمَ لك إلا من قبلهما<sup>(6)</sup> .

نلاحظ تكرار ( هما ) في آخر كل خصلة من الخصال . وانظر معي إلى هذه النواهي التي وردت متواليّة ، كأنها عقد نضيد من التوصيات والحكم ، جاءت كموسيقا العرض العسكري الأخاذ :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (( إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تناجشوا<sup>(7)</sup> ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تتنافسوا ، ولا تدابروا<sup>(8)</sup> ، وكونوا عباد الله إخواناً ))<sup>(9)</sup> . وكذلك ما نراه في هذا الحديث الشريف : فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

عليك بالرفق فإنه لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شأنه<sup>(10)</sup> .  
حسن التقسيم واضح في الجملتين ،

والمقابلة بينهما : ( لا يكون : لا ينزع ) ، ( زانه : شأنه ) .

والجناس الناقص : ( زانه : شأنه ) .

والسجع الجميل في ( النون والهاء ) في نهاية كل من الجملتين .

وكذلك نلاحظ جمال التعبير الموسيقي الذي يأسر القلوب ، ويمتلك العواطف في الحديث التالي :

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - :

يسرّوا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا<sup>(11)</sup>

جملتان متقابلتان فيهما موسيقى أسرة متنوعة ، تجمع بين حسن التقسيم ، والجناس ، والطباق دون تكلف أو تصنع ، ألم يقل - صلى الله عليه وسلم - : ( أدبني ربي فأحسن تأديبي ) .

(6) الأدب المفرد الحديث / 35 / .

(7) التناجش : أن تزيد في ثمن سلعة ليس لك بها حاجة تريد أن ترفع سعرها ليقع فيها غيرك .

(8) لا تدابروا : أي لا تقاطعوا .

(9) الأدب المفرد الحديث / 410 / .

(10) الأدب المفرد الحديث / 469 / .

(11) الادب المفرد الحديث / 473 / .



## أدوات الاستفتاح والتنبيه والتوكيد (22)

هذه الأدوات تطرق سمع المخاطب ، فتنبيهه إلى ما سيكون بعد ذلك فلا يضيع عليه من كلام القائل شيء وقد عرف العرب كثيراً منها ، فهناك على سبيل المثال :

**1 - ( همزة الاستفهام ) :** وقد وردت في أحاديث المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بوفرة ، ومن هذه الأحاديث ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

(( . . . . . ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع الدرجات ؟ . . . )) ( إلى آخر الحديث )<sup>(1)</sup> فأوردها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لتلفت انتباه المسلمين ، ثم أتبعها ب ( لا ) النافية (( ألا أدلكم )) فلما أصبح استعدادهم كاملاً أجابوه بالإيجاب .

**2 - ( النداء بـ أيها الناس ) :** وهذا يستدعي تحويل الرؤوس إليه - صلى الله عليه وسلم - ، وتصويب نظراتهم نحوه ، وفتح آذانهم ، والإصاغة باهتمام لما يقول ، ويوردها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين يكون الجمع حاشداً ، كما حدث في خطبة (( حجة الوداع )) إذ :

أ - أوردها عدة مرات للتأكيد على وجوب الانتباه ، لما للأمر من أهمية .

ب - ذكرها في بداية كل فقرة ، للإشعار بأنه يقول شيئاً جديداً<sup>(2)</sup> .

**3 - ( أداة النداء : يا ) :**

أ - لنداء الخاص أحياناً ، كالحديث الذي رواه أبو ذر - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا أبا ذر ، إذ طبخت مرقة ، فأكثر ماء المرقة ، وتعاهد جيرانك ، أو أقسم في جيرانك<sup>(3)</sup> .

ب - لنداء العام أحياناً : كالحديث الذي رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : يا نساء المسلمين ، يا نساء المسلمات ، لا تحقرن جارة لجاراتها ، ولو فرسن شاة<sup>(4)</sup> .

ومن الملاحظ أنه - صلى الله عليه وسلم - في ندائه أبا ذر - وكان وحده - ناداه مرة واحدة ، وحين نادى عامة النساء كرر وذلك لبعده الزمان والمكان .

**4 - ( إن وأمثالها ) :** فهي للتوكيد والتنبيه ، ومثالها : ما رواه أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن أعظم الناس أجراً في الصلاة ، أبعدهم إليها ممشي ، فأبعدهم<sup>(5)</sup> .

**5 - ( أدوات الشرط بأنواعها ) :** ففيها معنى الحث والترغيب و . . ومثالها ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ،

ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ،

ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت<sup>(6)</sup> .

**6 - ( ما النافية مع إلا أداة الحصر ) :** وهذا يسمى في عرف البلاغيين : أسلوب القصر ، ومثاله : ما رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ما أكرم شابٌ شيخاً لسنه إلا قيض الله له من

يكرمه عند سنه<sup>(7)</sup> .

**7 - ( إنما الكافة المكفوفة ) :** وهي من أساليب القصر أيضاً ، ومثالها : ما رواه أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الكير

. . . إلى آخره<sup>(8)</sup> .

(1) رياض الصالحين ( باب فضل المشي إلى المساجد ) ، رواه مسلم .

(2) سيرة ابن هشام ، الجزء الرابع ص / 184 ، طبعة مكتبة الرياض ، نقلاً من مكتبات الكليات الأزهرية .

(3) الأدب المفرد الحديث / 114 .

(4) الأدب المفرد الحديث / 123 .

(5) رياض الصالحين ، باب فضل المشي إلى المساجد ، رواه مسلم .

(6) رياض الصالحين ، الحديث / 306 / متفق عليه .

(7) رياض الصالحين الحديث / 357 / رواه الترمذي وقال : حديث غريب .

(8) رياض الصالحين الحديث / 361 / متفق عليه .

فنبّه بأسلوب القصر إلى مكانة الجليس الصالح ، ومهانة الجليس السوء .  
وأمثال هذه الأدوات عديدة يتنبه إليه النبيه .  
وبعد . . . فهذا غيبض من فيض من طرائق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في التربية والتعليم ، سلوكاً وأسلوباً ،  
عملاً وقولاً . أرجو أن يكون عملي هذا لبنة في صرح التربية الإسلامية ، راجياً ثواب الله تعالى .  
فما كان من خير وصواب فمن الله تعالى وفضله ، وما كان من هنة وتقصير وضعف فمني .  
أسأل الله تعالى القبول فإنه أكرم مسؤول .  
اللهم : اغفر ذنبي ، واستر عيبي ، واختم بالصالحات أعمالي .  
أخوكم عثمان قدرني مكانسي